آثار الدكتور يحيى بوعزيز

الاستعمار الأوروبي الحديث

في إفريقيا وآسيا وجزر المحيطات

دار البصائر
للنشر والتوزيع



طبعة خاصة

2009

ردمك: 6-77-887-9961-978

رقم الإيداع: 2009-1020

دار البصائر

للنشر والتوزيع

العنوان: 50 شارع طرابلس – حسين داي / الجزائر

الهاتف / الفاكس: 21 36 77 021 / 27 36 77 021

الفاكس: 25 36 77 021

البريد الالكتروني: darelbassair@yahoo.fr

نشر هذا الكتاب بدعم من وزارة الثقافة 2008 م

في إطار الصندوق الوطني لترقية الفنون والآداب وتطويرها

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

لقد كان من نتائج النهضة الأوروبية الحديثة، قيام وظهور الدولة الوطنية الحديثة، ذات النظام الملكي المستبد المستنير، والوحدة العرقية واللغوية، والمذهبية، وذلك كبديل للنظام الإمبراطوري الذي كانت تخضع لسلطته شعوبا متعددة متباينة في الجنس، واللغة، والعقيدة المذهبية.

وعندما استكملت هذه الدولة الوطنية الحديثة بناء نفسها وتركزت مؤسساتها المدنية،والعسكرية، وكونت جيوشا حديثة التنظيم، والتسليح اتجهت بأنظارها إلى الخارج وقادت الحركة الاستعمارية القديمة التي يحلو للأوروبيين أن يسموها، وينعتوها مغالطة، وتزييفا لحقائق التاريخ، بحركة الكشوف الجغرافية، وغزت بجيوشها الجديدة والحديثة، العالم الجديد الأمريكي وبعض جيوب وشواطئ القارة الإفريقية، وشبه القارة الهندية، وجزر الهند الشرقية بالشرق الأقصى كالأرخبيل الأندونيسي، "والنيوزيلاندي" والقارة الأوقيانية الأسترالية، وذلك أواخر القرن الخامس عشر وطوال القرن السادس عشر، وما بعده.

وقد اقترنت هذه الحركة الاستعمارية القديمة بالهجرة والاستيطان للعنصر الأوروبي المسيحي النصراني في هذه البلدان والعوالم الجديدة، خاصة بالنسبة للمضطهدين، دينيا، وسياسيا، والذين فروا بعقائدهم الدينية والمذهبية وأفكارهم السياسة إلى هناك، ليعيشوا بعيدين عن الظلم، والقهر، والاضطهاد، وينعموا بالحرية والهناء والاستقرار، ولكنهم كانوا السبب المباشر في مسخ المجتمعات الأمريكية الأصلية والأوقيانية وصبغها بالصبغة اللاتينية من حيث اللغة والعقيدة الدينية، والتهجين، وطمس حضاراتها الأصلية والعريقة كالازتك، والأنكة، والماية وغيرها.

وكان من نتائج هذه الحركة الاستعمارية القديمة القضاء على الطريق التجاري الدولي المتمثل في حوض البحر المتوسط، والبلاد العربية، والبحر الأحمر والخليج الفارسي العربي إلى بلاد الهند، والشرق الأقصى، واكتشاف طريقتين جديدين للتجارة الدولية هما: طريق الرجاء الصالح حول القارة الإفريقية إلى الهند والصين، وجزر الشرق الأقصى، وطريق مواني غرب أوروبا الأطلسية إلى العالم الجديد الأمريكي عبر المحيط الأطلسي.

فانتقلت التجارة من مواني شرق البحر المتوسط الإسلامية إلى مواني غرب أوروبا المسيحية، وازدهرت التجارة الأوروبية عبر الطريقين الجديدين، وكسدت التجارة في المنطقة العربية، وخاضت أوروبا ما عرف "بالثورة التجارية" خلال القرون الثلاثة 16 و17 و18م، مع هذه البلدان والعوامل الجديدة، وتجمعت لديها رؤوس أموال ضخمة جدا من الأرباح الطائلة، استثمرتها في النشاط الصناعي "والثورة الصناعية" التي خاضتها بعد ذلك في القرنين 19 و20م.

وكانت هذه الثورة الصناعية من أهم الأسباب التي دفعت شعوب أوروبا إلى القيام بالحركة الاستعمارية الحديثة في النصف الثاني من القرن 19م والنصف الأول من القرن 20م، بحثا عن المواد والمعادن الخام لمصانعها، والأسواق التجارية لتصريف مصنوعاتها وعن المواطن لاستثمار رؤوس أموالها الضخمة المتجمعة من النشاط التجاري والصناعي، والتي لم يكن بوسع رقعة أوروبا استيعابها.

وهكذا غزت أوروبا واستعمرت ما يقرب من 80% من اليابسة في ظرف قرن من الزمن مابين 180 و190، واحتلت كل القارة الإفريقية، ومعظم القارة الآسيوية وكل جزر، وأرخبيلات المحيطات: الهادي والهندي والأطلسي، والبحر المتوسط.

وقد اتسمت هذه الحركة الاستعمارية الحديثة بالشراسة، والمكر والخبث، والأهوال، والمدمرة، وبالقتل، والتشريد الجماعيين للسكان الأصليين وإفقارهم وتجهيلهم، وعزلهم عن كل مظاهر الحياة والمدنية الجديدة وبالمبالغة في ابتزاز خيارات بلدانهم الاقتصادية، الفنية، والثقافية، والجمالية، وذلك مما عمق الفارق الحضاري حاليا بين شعوب أوروبا، وشعوب هذه البلدان التي يحلو للأوروبيين أن

يطلقوا عليها اسم " العالم الثالث المتخلف"، وليس من السهل القضاء على هذا الفارق، والحاجز، والحاجز الحضاري وإزالته وتذويبه، لأن أوروبا امتصت كل خيارات هذه البلدان وإمكانياتها الاقتصادية، وأورثتها المزيد من الجهل والفقر، والآفات الاجتماعية المختلفة، وغرست فيها جاليات مسيحية أوروبية تتسبب في حروب أهلية عرقية وفي مشاكل عنصرية دينية كثيرة تعوق هذه البلدان عن التقدم والتطور وتفقدها الأمن والاستقرار الضروريين للبناء الحضاري.

إن الظاهرة الاستعمارية في إفريقيا وآسيا بحاجة إلى دراسة وبحث عميقين، لإبراز مخازي الاستعمار الأوروبي، ومساوئه، ومفاسده على حقيقتها ولإظهار مدى الجرم الذي ارتكبه الغزاة الأوروبيون، سياستهم وزعماؤهم على مدى هذه الحقبة الاستعمارية في حق شعوب هذه البلدان التي وقعت فريسة في أيديهم وضحية لأطماعهم ونهشهم، ومكرهم وخبثهم، وحتى تستطيع الأجيال الصاعدة أن تحافظ على استقلالها الوطني وتدرك ضخامة الضحايا التي قدمها الأجداد في سبيل استعادة هذا الاستقلال الوطني، وطرد الغزاة المعتدين من بلدانهم وأوطانهم.

وهذه الدراسة المتواضعة التي نقدمها اليوم للقارئ، وللطالب الجامعي، وتروي قصة الاستعمار الأوروبي لقارتي إفريقيا، وآسيا، وجزر وأرخبيلات المحيطات: الهادي، والهندي، والأطلسي، وما منتج عنها من كوارث، وأهوال ومصاعب مادية وروحية، بشرية، واقتصادية، واجتماعية، ودينية، عرقية، وثقافية، وسياسية، وعسكرية.

والله الموفق

وهران – حي الصادقية الدكتور: يحي بوعزيز

جامعة وهران

6 شوال 1406هـ
الجمعة
13 جوان 1986م

القسم الأول

تمهيد: في أسباب الاستعمار الحديث وطرق تغلغله

الاستعمار الحديث

تمهيد

أ - أسبابه:

ضعف الحركة الاستعمارية في أوائل القرن 19م

ضعف تيار الحركة الاستعمارية خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر، وساد بين الدول الاستعمارية الرأسمالية شعور بأن امتلاك المستعمرات قليل الأهمية، باهظ التكاليف، في ظل الحرية التجارية، وسياسة الأسواق المفتوحة.

فإنجلترا، مثلا، زادت تجارتها مع الولايات المتحدة الأمريكية بعد استقلالها، وارتفعت أرباحها، في حين كانت نفقاتها عليها باهظة يوم كانت تسيطر عليها وتستعمرها.

وفرنسا وهولندا، والنمسا، وإسبانيا، كانت مشغولة بحروب أوروبية، وثورات داخلية، صرفتها عن التطلع إلى التوسع الاستعماري.

وبروسيا، وبيدومنت (إيطاليا)، كانتا مشغولتين بحركة تحقيق وحدتها القومية الوطنية.

تجدد الحركة الاستعمارية

وفي خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر، وأوائل القرن العشرين، تجددت النزعة الاستعمارية، واشتد التيار الاستعماري الأوروبي بدرجة واسعة، واستعمرت دول أوروبا في مدى أقل من قرن، ما بين 1850 -1914 مناطق فاقت مساحتها المناطق التي استعمرتها قبل ذلك طوال ثلاثة قرون وبلغت مساحتها حوالي 70% من اليابس كله.

وكان الطابع العام لهذا التيار الاستعماري الجديد في هذه الفترة، ليس هو الهجرة الاستيطان، كما كان الحال أثر حركة الكشوف البحرية، وإنما هو السيطرة والاستعمار، كنتيجة حتمية للاستعمار الصناعي، وما صاحبه من تطور في النواحي السياسية والاقتصادية.

أسباب الاستعمار الحديث:

هناك عدة أسباب عملت على اشتداد حركة الاستعمار الحديث خلال القرن التاسع عشر، وأوائل العشرين أهمها:

أولا- البحث عن الأسواق التجارية:

بعد قيام الثورة الصناعية، وكثر إنتاجها وتراكم بالمصانع والمخازن ولم تستطع الأسواق المحلية أن تستوعبه ولم تفلح سياسة فرض الضرائب الجمركية على السلع الواردة من الخارج لمقاومة تراكم الإنتاج المحلي، ولم تجد الدول الأوروبية الصناعية حلا إلا الاستعمار، لكسب أسواق جديدة خارج أوروبا لإنتاجها الصناعي، فتنافست على ذلك، وتصارعت بشكل مخيف، وحالفها الحظ بسبب تفوقها الحربي والصناعي الذي اتخذته أداة لتحقيق ذلك.

ثانيا- البحث عن المواد الأولية:

وكان لقيام الثورة الصناعية ازدهارها تأثير على الزراعة والإنتاج الزراعي، بحيث شغلت الدول عن الاهتمام بها، فقل إنتاجها، في حين زاد الطلب على المعادن، والمواد الخام الزراعية، لتشغيل المصانع وتزويدها بما تحتاج إليه حتى لا تتعطل وتتوقف، مثل: المطاط، وزيت البترول، والحديد، وغيرها، ولذلك: تسابقت الدول إلى استعمار الأراضي الغنية، والسيطرة عليها خارج أوروبا، في إفريقيا، وآسيا، لاستغلال مواردها المدنية، وطاقتها البشرية، لمصلحتها الشخصية، ورقيها الحضاري.

ثالثا- استثمار رؤوس الأموال:

أدى ازدهار الصناعة وتطورها، إلى تضخم الثروات والأرباح التجارية، فظهرت رؤوس أموال ضخمة، وكبيرة، ورغب أصحابها في استثمارها، واستغلالها خارج أوروبا لزيادة أرباحهم وثرواتهم، وذلك بإنشاء البنوك، والشركات المساهمة، والسكك الحديدية، الموانى، وغيرها من المشاريع العمرانية الاقتصادية فاشتد تنافس الدول الاستعمارية على ذلك، وتحول تنافسها إلى استعمار سياسي وعسكري فيما بعد وقد بلغت أرباح بريطانيا من استثماراتها المالية في الخارج مبالغ طائلة.

رابعا- البحث عن مجال لإسكان فائض السكان:

كان لتحسين ظروف المعيشة واستعمال الآلات الحديثة في العمل بعد الانقلاب الصناعي، تأثير على شعوب دول أوروبا الصناعية، فتضاعف السكان، وتفشت البطالة، وأصبحت الدول تبحث عن مناطق لاستعمارها، حتى تسكن فيها فائض سكانها، وتقلل من البطالة والمشاكل الاجتماعية الناجمة عن ذلك وعلى هذا الأساس:

- استعمرت هولندا: جزر الهند الشرقية، وهاجر الهولنديون إليها.
- واستعمرت إنجلترا: أستراليا، وكندا، ونيوزيلندا، وجنوب إفريقيا وغيرها، وهاجر الإنجليز إليها.
- واستعمرت فرنسا: شمال إفريقيا، وغربها، ووسطها، والهند الصينية وهاجر الفرنسيون إليها.
- واستعمرت إيطاليا: ليبيا، والحبشة، وهاجر الإيطاليون إليهما، وشجع موسوليني حركة الهجرة من إيطاليا للتخفيف من مشكلة تزايد السكان التي كانت وما تزال حتى اليوم تعاني منها إيطاليا.

خامسا- الرغبة في الحصول على أمجاد قومية:

ظهرت بأوروبا دول قومية جديدة في أواخر القرن التاسع عشر، واستكملت

وحدتها القومية، وأرادت أن يكون لها ما للدول الكبرى من قوة ومجد كإنجلترا وفرنسا، وعملت على كسب ذلك عن طريق إضافة أراض جديدة إلى أملاكها. ويتضح هذا في ألمانيا وإيطاليا اللتين تطلعتا إلى استعمار مناطق في إفريقيا، ودخلتا بسبب ذلك في تنافس حاد مع غيرهما في المجال الاستعماري رغم تأخرهما عن الركب مدة طويلة.

سادسا- البحث عن القواعد العسكرية:

كان لكثير من بلدان إفريقيا وآسيا أهمية استراتيجية في الميدان العسكري بسبب ميزة المواقع التي تحتلها. وتفطنت الدول الاستعمارية لهذه الأهمية، فأخذت تتنافس من أجل الحصول على مناطق استعمارية ذات مواقع جغرافية هامة لإقامة القواعد العسكرية البرية والبحرية التي حمي بها مصالحها وأراضيها الاستعمارية، وتزود منها جيوشها بالطاقة البشرية التي تلقى بها في أتون الحرب التي تشعلها، وعلى هذا الأساس، سيطرت بريطانيا على جبل طارق، ومالطة، وقبرص، وقناة السويس، وعدن، لتأمين مواصلاتها إلى مستعمراتها بالهند والشرق الأقصى واستطاعت هي وفرنسا أن تحصلا على النصر في الحربين العالميتين: الأولى والثانية بفضل المساعدات المادية والبشرية التي حصلتا عليهما من مستعمراتهما في العالم.

سابعا- التأثيرات الشخصية:

برز في هذه الفترة عدد من السادسة المحترفين، وكبار الموظفين، والمغامرين، لهم هيام في إبراز شخصيتهم، وإظهارها، بأية وسيلة كانت، فأخذوا يلحون على دولهم، ويدفعونها إلى الاستعمار والسيطرة على البلدان الخارجية، لكسب الثورات الاقتصادية، والتفوق السياسي، والعسكري، وقد استطاع الكثيرون منهم أن يؤثروا على دولهم، أمثال: وكاسلرى، وسيسيل رودس، ولا فيجري، وجول فيرى، وبسمارك، وغيرهم وراء حركة الاستعمار.

ثامنا- النزعة الصليبية أو البشير الديني:

لم تكف كل هذه الأسباب، فاتخذ الاستعمار شكلا دينيا، ورأت دول أوروبا أن تنشر مسيحيتها بين الشعوب خارجا أوروبا، لا حبا فيها، وإنما كمبرر للغزو الاستعماري، فغزت فرنسا الهند الصينية واستعمرتها انتقاما لمقتل راهب مسيحي فرنسي مبشر فيها، ذهب إلى هناك لينشر سموم الاستعمار الخبيث، واحتلت الجزائر لتفتح باب إفريقيا للمسيحية، كما عبر بذلك شارل العاشر في خطاب العرش، أثناء إعداد حملة الاحتلال عام 1830م.

وتوغل الإنجليز في غزو إفريقيا الجنوبية والشرقية بدعوى نشر المسيحية كقناع لأطماعهم الاستعمارية، وأكرهوا الصين على خوض حروب الأفيون بسبب تدخل المبشرين المسيحيين في شؤونها الداخلية، وتزعمهم سياسة التخريب والفساد، وحدث نفس الشيء في الهند، واليابان.

تاسعا- دعوى نشر الحضارة:

ادعت دول أوروبا أن لها رسالة حضارية وثقافية، وتشدقت بأنها تسيطر على البلدان لنشر الحضارة والتقدم الإنساني، ورفع مستوى الحياة والثقافة فيها، بدعوى أن الحضارة ملك لأوروبا ومن خلقها هي، وهي المسؤولة عن نشرها.

ولكن، هل نشرت دول أوروبا الاستعمارية الحضارة والتطور في البلدان التي استعمرتها؟ كلا، وواقع تلك الدول التي حررت نفسها من رقبة الاستعمار، أوضح دليل على ذلك. إن الذي نشرته أوروبا الاستعمارية، هو البؤس، والشقاء، والحرمان، والتخلف، وكل ألوان الظلم والاضطهاد وإن الذي حرصت عليه أوروبا الاستعمارية بحق، هو سلب خيرات تلك البلاد التي سيطرت عليها، وتسخير شعوبها لفائدة ورفاهية المستعمرين والزيادة في قوة شعوب أوروبا.

تلك هي أهم أسباب الاستعمار الحديث، التي حفزت دول أوروبا على الاستعمار وأدت إلى سقوط معظم آسيا وإفريقيا تحت سيطرتها فترة طويلة من الزمن نتج عنها تخلفها وبؤسها، وشقاؤها، وكل المشاكل التي تتخبط فيها الآن بعد

أن تحررت.

ب – طرق تغلغله

طبيعة الاستعمار الحديث

تمهيد: يختلف الاستعمار الحديث عن الاستعمار القديم، في كونه يعتمد على أساس السيطرة على الشعوب، وموارد ثورات البلدان خارج أوروبا، وتكوين إمبراطوريات واسعة.. ولقد كان وراء هذه الحركة الاستعمارية الفرنسية الجديدة، التقدم العلمي والصناعي، والأسلحة الفتاكة الحديثة، والدبلوماسية الماكرة، ووسائل الانتقال السريعة، التي سبقت بها هذه الدول غيرها لامتلاكها.

طرق تغلغل الاستعمار الحديث

اتخذ هذا الاستعمار الحديث، أشكالا وصورا مختلفة، واستعمل أساليب متنوعة للوصول إلى أهدافه، وتحقيق أغراضه في الاحتلال والسيطرة فأحيانا يسير وراء أعمال سلمية مهذبة مقنعة، وأحيانا يعلن عن نفسه، ويكشف عن صور مزرية فاحشة دون خجل أو حياء وفيما يلي نستعرض هذه الطرق والأساليب الدنيئة الرخيصة، التي تنم عن مكر وخبث وسفالة.

أولا– بالهجرة والاستيطان:

وقد حدث ذلك في أمريكا، وأستراليا، حيث توافد الأوروبيون إليها جماعات، وزرافات، وقاموا بقتل الكثير من السكان الأصليين: الزنوج، والهنود الحمر، وطرد الغالبية الكبرى إلى بيئات منعزلة فقيرة، ليعيشوا حياة البؤس والشقاء والفاقة، بحجة تأخرهم وبداوتهم وحلوا في أراضيهم ومزارعهم وحقولهم، ونفس الصورة حصلت بالجزائر، حيث قام الفرنسيون بطرد السكان الوطنيين إلى المناطق الفقيرة في الجبال والصحراء، ووضعوا أيديهم على كل أملاكهم العقارية وثرواتهم الحيوانية.

ثانيا- بتسلط الأبيض على الأسود:

وحدث ذلك في جنوب إفريقيا، حيث فرض العنصر الأوروبي الأبيض سيطرته على الإفريقي الأسود، وحرمه من كل الحقوق المشروعة، ومنعه من التمتع والمساواة أمام الدولة والقانون والكنيسة، وأغلق في وجهه كل الأبواب التي تساعده على تحسين أحواله الاقتصادية، والاجتماعية، وغيرها، وصيره لاجئا في وطنه، وسلط عليه كل وسائل الذل والقهر والحرمان السياسي، والاقتصادي، والثقافي، والديني والاجتماعي، بما في كل هذه الكلمات من معاني.

وما تزال هذه القصة تجدد حتى الآن هناك، وتحدث بصورة بشعة في فلسطين، وفي الولايات المتحدة الأمريكية، التي تدعى أنها زعيمة الحضارة، وصاحبة المجتمع العظيم، حيث يتعرض العرب، الأفارقة، والزنوج، والهنود الحمر لكل ألوان التعذيب.

ثالثا- الاحتلال العسكري:

وقد حصل ذلك في الجزائر، وتونس، والمغرب الأقصى، وليبيا، والحبشة، والهند الصينية، ومصر، وغيرها، حيث قام المستعمرون باحتلال هذه البلدان بالقوة، رغم احتجاج شعوبها، ومقاومتها الباسلة، واحتجاج بعض البلدان المحبة للسلام، أو المتخوفة من الزحف الاستعماري عليها وأوضح مثل على ذلك: قصة احتلال فرنسا للجزائر.

رابعا- بالتستر وراء قناع التجارة:

وقد ظهر ذلك واضحاً في أعمال البرتغاليين، ونشاطهم في المياه الشرقية خلال القرن السادس عشر. وفي أعمال شركة الهند الشرقية الهولندية في جزر الهند الشرقية (أندونيسيا)، وشركة الهند الشرقية الإنجليزية في الهند، والخليج، حيث تحولت هذه الشركات على هيئات حاكمة في هذه المناطق، وامتلكت الجيوش والأساطيل والأسلحة، وسخرت لك ذلك لتثبيت مركزها التجاري، ومهدت السبيل لسيطرة دولها السياسية والعسكرية فيما بعد على هذه البلدان، وتكوين إمبراطوريات

استعمارية واسعة.

خامسا- بالتستر وراء منع الاتفاقيات الودية:

حيث قام مندوبو الدول الاستعمارية والمغامرون المقامرون بإبرام اتفاقيات ودية مع القبائل الساذجة، بعد أن أغروا رؤساءها ببعض الهدايا، كالأقمشة، والأقراط، واللعب، والتحف البسيطة، كما فعل ستانلي البلجيكي في الكونغو، واتخذت الدول الاستعمارية ذلك وسيلة لتأكيد استعمارها، وادعاءاتها في ملكية تلك الأراضي، واستغلالها لمنفعتها الخاصة، وتحول ذلك فيما بعد إلى استعمار مكشوف.

سادسا- عن طريق الضغط:

وذلك بفرض معاهدات الاحتلال تحت الضغط، والتهديد، والوعيد، بالعواقب الوخيمة، وأدى ذلك إلى وقوع كثير من البلدان تحت السيطرة الاستعمارية، كما حصل في إمارات الخليج والجنوب العربي، حيث أكرهت بريطانيا الإمارات العربية المختلفة هناك على عقد اتفاقات كانت أساسا لفرض الاحتلال البريطاني في المنطقة كلها، من عدن في الجنوب الغربي، إلى الكويت في الشمال، أقصى شمال الخليج العربي الفارسي.

سابعا- باستثمار رؤوس الأموال:

وذلك بمنح قروض مالية لبعض البلدان، بفوائد وأرباح فاحشة تفوق المنطق والمعقول، وإغراق أسواقها بالبضائع الأجنبية، التي تفقدها التوازن المالي، وتكلفها ديونا كبيرة، فترجح كفة الأوروبيين المستثمرين، ويتمكنون من السيطرة والرقابة المالية على الاقتصاد الوطني لتلك البلدان ثم يقومون بالتدخل العسكري بعد ذلك بحجة حماية ديونهم، وقروضهم، وضمان استخلاصها وقد حدث هذا في تونس عام 1877م، وفي مصر بعد حفر قناة السويس، وفي المغرب الأقصى، وبعض بلدان أمريكا اللاتينية أثناء القرن التاسع عشر، وأدى إلى استعمارها،

ووقوعها في قبضة الدول الأوروبية الاستعمارية.

ثامنا- عن طريق الامتيازات الأجنبية:

حيث حصلت الجاليات الأوروبية على امتيازات: قضائية، وقنصلية، واقتصادية ودينية، وسياسية، فأصبح أفرادها يكونون دول داخل دولة في تلك البلدان، وأتاح ذلك فرص التدخل في شؤونها الإدارية، السياسية وقد حصل ذلك في: مصر، وتونس، والجزائر، وكل البلدان العربية التي كانت تخضع للدولة العثمانية، كالشام، والعراق، وحصل في الصين كذلك في القرنين التاسع عشر، والعشرين وأبسط مثل على ذلك: أن الجالية الفرنسية منحت في الجزائر امتياز إنشاء مراكز القالة لصيد المرجان، كما منحت في مصر امتيازات قضائية، وقنصلية، وكذلك في المغرب الأقصى، بحيث لا يحاكم أعضاؤها عندما يرتكبون المخالفات، أمام القضاء الوطني المحلي وإنما يحاكمون أمام قضاء بلادهم بواسطة قناصلها، وهذا يعني حماية هذه الجاليات من العدالة الوطنية، وتمكينها من فرض سيطرتها على البلدان.

تاسعا- بالغزو الديني والثقافي:

استغل الاستعمار، حتى الدين، والثقافة كوسيلة للتسلط الاستعماري، فاختفى وراء البعثات التبشيرية، التي فتحت المدارس والأديرة، وعملت على نشر اللغات الأوروبية، والديانة المسيحية، والأفكار المسمومة الغربية، تمهيدا للاحتلال العسكري وقد حدث مثل هذا في الصين، وكندا، وأوغندا وبعض أجزاء إفريقيا الأخرى.

واتخذت الدول الاستعمارية سلاح الثقافة، لتثبيت دعائم استعمارها السياسي، ومثلت هذا الدور: فرنسا، في الجزائر، والمغرب العربي، وبعض بلدان غرب إفريقيا، وحاولت إنجلترا أن تفعل ذلك في الهند، وبعض بلدان إفريقيا، وجنوبها وهذا سر وجود رابطة الكومنولث البريطاني، والدعوة الفرنكوفونية لفرنسا في إفريقيا.

عاشرا- بالانتداب والوصاية:

اتخذت الدول الكبرى، الانتداب والوصاية كوسيلة لفرض سيطرتها على الدول الصغرى وقد ابتدعت هذا الأسلوب عصبة الأمم التي أسست بعد الحرب العالمية الأولى لتدافع عن حقوق الشعوب في تقرير مصيرها ولما كانت كل من فرنسا وإنجلترا تسيطران على هذه العصبة، وتملكان الجزء الأكبر من المستعمرات، فقد استغلتا هذه العصبة لتحقيق مآربهما الاستعمارية، بواسطة الوصاية والانتداب، واقتسمتا أملاك ألمانيا الاستعمارية وبعض ولايات حليفتها تركيا، وسيطرتا عليها بعنوان الوصاية والانتداب، وأقرت ذلك عصبة الأمم نفسها فحصلت إنجلترا على العراق، والأردن، وفلسطين وحصلت فرنسا على سوريا، ولبنان، بعنوان الانتداب والوصاية، وتحول ذلك إلى استعمار سافر، وقامت إنجلترا بتسليم فلسطين العربية إلى اليهود، الذين يقومون بأبشع استعمار عرفه التاريخ، حيث طردوا شعب فلسطين العربي من دياره ووطنه، وسلطوا عليه القتل، والتشرد، والطرد، والعيش في الخيام تحت رحمة الجوع والبرد والحرمان، والإغاثة الدولية، على مرأى، ومسمع، ورضى من الدول الكبرى، والأمم المتحدة، والقانون الدولي.

نظام الانتداب والوصاية

وضعت المستعمرات الألمانية، والولايات العثمانية، التي انتزعت منهما تحت سيطرة فرنسا، وإنجلترا، وفق نظام الوصاية الذي استحدثته عصبة الأمم، وذلك بحجة أنها غير رشيدة وما تزال غير قادرة على أن تحكم نفسها بنفسها، وقسم الانتداب إلى ثلاثة أنواع وأصناف تبعا لدرجة رقي السكان وتحضرهم وذلك في مؤتمر سان ريمو بإيطاليا في ربيع عام 1920م.

القسم الأول:

ويشمل البلاد العربية التي كانت جزءا من الإمبراطورية العثمانية واعتبرت راقية ومتحضرة، وأنيطت بالدول التي كلفت بالوصاية عليها، مهمة مساعدتها على التطور والرقي والتقدم حتى تصل إلى الوضع الذي يسمح لها بالاستقلال وتسيير

نفسها دون حاجة إلى وصاية، وقد كلفت الدول الوصية بتقديم تقارير دورية عن حالاتها، ومدى نهضتها وتطور أوضاعها وبمقتضى معاهدة سايكس بيكو عام 1916م تكلفت بريطانيا بالوصاية على العراق وشرق الأردن، وفلسطين، وتكلفت فرنسا بالوصاية على سوريا ولبنان.

القسم الثاني:

ويشمل المستعمرات الألمانية في إفريقيا، وتقوم الدول الوصية بإدارتها بنفسها بصفة مباشرة، وحصلت بريطانيا على طنجا نيقا، وجزر زنجبار والطوقو، وجزء من الكاميرون، وحصلت فرنسا على الجزء الباقي من الطوقو والكاميرون وحصلت على رواندي شرق الكونغو.

القسم الثالث:

ويشمل المستعمرات الألمانية الأخرى في إفريقيا والشرق الأقصى فحصلت بريطانيا على ناميبيا، وأعطته إلى جنوب إفريقيا الحالية بنفس العنوان وحصلت أستراليا على الجزء الشرقي من جزيرة غينيا الجديدة بالأرخبيل الأندونيسي وحصلت زيلاندا الجديدة على إدارة جزر صاموا، وحصلت اليابان على إدارة كياوتشاو بالصين وجزر مارشال بالمحيط الهادي، وبما أنه لم ينص على مستقبل هذه المستعمرات فقد اعتبرتها الدول الوصية عليها جزءاً منها.

تلك هي صورة وأشكال الاستعمار الحديث، الذي ظهر، ونما، وتطور، كنتيجة للتقدم العلمي، والثورة الصناعية، ونمو الروح القومية.

وقد استخدمت دول أوروبا هذه العوامل الضخمة الكبيرة بطريقة أنانية، ماكرة، ومن زاوية مصلحتها الشخصية، التي تستهدف إسعاد نفسها، وشعوبها الصغيرة القليلة، على حساب ملايين الأفراد والجماعات من الشعوب وهكذا تمثل هذا الاستعمار الأوروبي الحديث بكل مظاهره وأشكاله في استعباد الشعوب، واستنزاف ثرواتها، ومسخ قومياتها، ونشر الفرقة بين أهلها، وكبت الحريات فيها، والإبقاء على بلادها، متخلفة، معتمدة على غيرها، ونشر الرذائل فيها، كشرب الخمر، وتدخين الأفيون، وتشجيع الإجرام، وما إلى ذلك.

التنافس الأوروبي في حوض البحر المتوسط "البلاد العربية والإفريقية"

تمهيد: فتحت الكشوف الجغرافية باب الاستعمار الأوروبي على مصراعيه في الشرق، والعالم الجديد، وأستراليا، منذ نهاية القرن الخامس عشر، وأوائل القرن السادس عشر "وقام التنافس الاستعماري بين إسبانيا والبرتغال"، ثم بينهما وبين هولندا وإنجلترا، ثم بين إنجلترا وفرنسا، وخلال القرون: السادس عشر، والسابع عشر، والثامن عشر الميلادي، وأسفر هذا التنافس عن ضياع ممتلكات البرتغال في الشرق، وتصفية الأملاك الفرنسية في الهند وأمريكا، وأصبحت إنجلترا سيدة البحار، وصاحبة أكبر إمبراطورية فيما وراء البحار، واحتفظت هولندا بجزر الهند الشرقية (أندونيسيا) وبعض مستعمرات ومراكز تجارية بسيطة متناثرة في آسيا وأمريكا وقد شهد القرنان الثامن عشر، والتاسع عشر بصفة خاصة، تنافساً استعماريا حادا بين إنجلترا وفرنسا حول السيطرة على بلدان الشرق الأوسط، وخاصة البلاد العربية المطلقة على البحر الأبيض المتوسط، وذلك بسبب ضعف الدولة العثمانية من جهة، ولمحاولة إنجلترا وفرنسا من جهة أخرى أحياء طريق البحر الأحمر ومصر، وإعادته إلى مكانته السابقة قبل الانقلاب التجاري، حتى يستخدم في المراسلات والمواصلات والتجارة بين أوروبا وجنوب شرقي آسيا.

وعلى أثر مؤتمر برلين عام 1878 تخلت الدولتان عن سياسة التكامل السياسي للدولة العثمانية، وأخذتا تتنازعان على أملاكهما، وتنتزعان منها ولايتها وأقاليمهما واحد بعد آخر.

أسباب تنافس الاستعمار الأوروبي

هناك عدة أسباب دفعت الدولتين لهذا التنافس، أهمها:

1-كانت فرنسا متأثرة كثيرا بتجارة بريطانيا الواسعة في الشرق، وتفطنت إلى الأرباح الطائلة التي تجنيها من بلدان الهند والشرق الأقصى. فقامت بتأسيس "شركة الهند الشرقية الفرنسية" منذ عام 1664 لتزاحم بريطانيا في تجارتها، فوطدت أقدام الفرنسيين ونفوذهم في بنديشيرى، وبعض المراكز الأخرى في سواحل الهند الشرقية، وبعد عام 1800 عملت فرنسا على توطيد أقدامها أكثر في الهند بعد تفكك إمبراطورية الماغول، وضعف حكام الأقاليم فيها، ولكن بريطانيا وقفت في وجهها، وعملت على إضعاف نفوذها وطردها.

2- سيطرت على أذهان الدولتين أثناء تنافسهما الاستعماري، الفكرة التجارية فكانت كل منها ترى أن حجم التجارة العالمية له حد، وأن توسع إحداهما في تجارتها لا يمكن أن يتحقق إلا على حساب الأخرى.

ومنذ القرن الثامن عشر، أصبحت تجارة المستعمرات عنصر أساسيا في اقتصاد كل منهما، ودخلتا بسبب ذلك، الواحدة ضد الأخرى في سلسلة من الحروب انتهت بطرد فرنسا من مستعمراتها، وأصبحت بريطانيا سيدة الموقف في الهند وأمريكا، وصاحبة أكبر قوة بحرية استعمارية في العالم، وأخذت فرنسا منذ القرن الثامن عشر تتحفز، وتفكر في وسيلة للانتقام.

أثر التنافس الاستعماري الأوروبي على العالم العربي

كان لنشاط دول أوروبا الاستعمارية في آسيا، آثار اقتصادية وسياسية بعيدة المدى في العالم العربي. فمن الناحية الاقتصادية، أصبحت الثروة في يد الأوروبيين، وصارت مصر والبلاد العربية الأخرى المجاورة محرومة تماما من موارد الثورة، وتدهورت بسبب ذلك أوضاعها الاقتصادية.

ومن الناحية السياسية طوقت البلدان العربية بخطر الزحف الأوروبي عليها من جميع النواحي، رغم تبعيتها للدولة العثمانية وتركز هذا التنافس حول بلدان

العالم العربي كله تقريبا، وسنوضح ذلك في كل من مصر، والشام، والمغرب العربي.

مصر:

اشتد الصراع والتنافس واحتد كثيرا بين فرنسا وبريطانيا على الجزء الأوسط من الشرق العربي، وبخاصة مصر، التي تسيطر بطبيعتها على طريق البحر الأحمر والمتوسط إلى الهند وأوروبا وكان هذا الطريق قد أغلقه العثمانيون في وجه السفن الأوروبية منذ أوائل القرن السادس عشر عندما سيطروا على البلاد العربية.

واهتمت بريطانيا بإحياء هذا الطريق، بعد أن كونت لنفسها إمبراطورية واسعة بالهند وجنوب شرقي آسيا واهتمت فرنسا به كذلك، بغية طعنها في تلك المستعمرات والانتقام منها فنشط تجار بريطانيا العاملون في البحر الأحمر، وأجروا اتصالات متوالية مع علي بك الكبير، ثم محمد أبو الذهب شيخ البلد الذي أبرم معه حاكم البنغال الإنجليزي، وارن هستنجر، اتفاقا عام 1775 نص على فتح ميناء السويس للتجارة البريطانية غير أن هذا الاتفاق لم يقدر له التنفيذ.

ولاحظت فرنسا هذا النشاط البريطاني، فأسرعت إلى الميدان، وعقدت مع إبراهيم بك اتفاقا عام 1785، كانت شروطه أحسن من الاتفاق البريطاني، وذلك كتمهيد لاستعادة نفوذها الذي فقدته في الهند، والسيطرة على طريق " البحر الأحمر ومصر بعد ذلك".

على أن بريطانيا لم يغب عنها هذا النشاط الفرنسي المريب، فجددت محاولاتها لتوثيق الصلات ببشوات مصر، وأرسلت عدة قناصل إلى مصر لخدمة أغراضها الاستعمارية، وتوصلت إلى إبرام اتفاق عام 1792 على غرار الاتفاق الفرنسي، ولكن لم تستفد منه كثيرا، وتوقف نشاطها بعد ذلك حتى قام نابليون بحملته المشهورة على مصر عام 1798، فعادت أطماعها، وعاد نشاطها الاستعماري من جديد ضد مصر.

أثر حملة نابليون على سياسة التنافس الاستعماري:

كشفت هذه الحملة عن أهمية الموقع الاستراتيجي الذي تحتله مصر والبلدان العربية في آسيا وإفريقيا، وفتحت حقبة من الصراع الحاد، والتنافس المرير بين الدولتين، وكان له أثره الواضح على بلدان الشرق الأوسط كلها ومما زاد في حدة هذا الصراع والتنافس، ارتباطه الوثيق بالموقف المتأزم في أوروبا بينهما وقد استمر هذا الصراع والتنافس إلى ما بعد احتلال مصر حتى عقد الاتفاق الودي بينهما عام 1904.

كانت فرنسا ترمي من وراء الحملة إلى بسط النفوذ الفرنسي في البحر الأحمر، ومساعدة تيبو صاحب آخر ملوك المسلمين في الهند، الذي كان يخوض حربا ضروسا ضد الاستعمار البريطاني هناك، كخطوة لطرد بريطانيا من شبه القارة الهندية.

فتفطنت بريطانيا للأهداف الفرنسية. وتتبعت أسطولها في البحر المتوسط حتى أوقعت به هزيمة ساحقة في أبي قير، وأخرى في العريش، ولم تكتف بهذا، فتحالفت مع روسيا عام 1799 من أجل طرد فرنسا من مصر، واحتلالها المناطق الاستراتيجية الهامة في بلدان الشرق الأوسط.

ورغم فشل بريطانيا في احتلال مصر عام 1807 إلا أنها استطاعت أن تقف في وجه أطماع محمد علي حليف فرنسا، وتحطيم مشاريعه التوسعية، وتجبره على الانسحاب من الشام، والحجاز، واليمن، وسواحل الخليج العربي. وهي المسؤولة عن معاهدة لندن عام 1840 التي فرضت وصاية دولة على مصر، وفتحت أبوابها لنفوذ الأوروبي، خاصة الفرنسي والبريطاني.

وقد رافق زحف النفوذ الأوروبي على مصر، تغلغل رؤوس الأموال الأجنبية في شكل شركات رأسمالية كبيرة مثل شركة قناة السويس، وفي شكل قروض مالية أدت إلى قيام وصاية دولية على مالية مصر، وإشراك وزراء أوروبيين في وزارة مصر أواخر عهد الخديوي إسماعيل الذي انتهى الأمر بعزله عام 1879 حين حاول إيقاف هذا التدخل الأجنبي.

ولم يقف الأمر عند هذا الحد فقط من التنافس، بل إن بريطانيا قامت باحتلال مصر عام 1882، وفرضت الحكم الثنائي على السودان عام 1899، وبعد إمضاء الاتفاق الودي عام 1903 نالت بريطانيا السيطرة على السودان، وأعطيت فرنسا الحرية في احتلال المغرب الأقصى، كما أعطيت إيطاليا حق احتلال ليبيا.

بلاد الشام:

وبقدر ما أحرزت بريطانيا تفوقا في مصر، أحرزت فرنسا تفوقا في الشام (سوريا ولبنان)، الذي يعتبر منطقة نفوذ استعماري لها، وترجع علاقتها بهذه المنطقة إلى أيام شارلمان، والحروب الصليبية التي قامت فيها بدور كبير، وخلفت هناك آثارا واضحة ما تزال حتى اليوم تتمثل في القلاع والكنائس المختلفة، خاصة وأن معظم الإمارات الصليبية بالشرق كان أمراؤها فرنسيين.

وبعد حملة نابليون على مصر أصيب نفوذ فرنسا في الشام بتدهور مؤقت، سرعان ما استعادته أثناء حوادث لبنان الطائفية عام 1860 بين الموارنة والدروز، فقد كان الموارنة يخضعون لحماية فرنسا ورعايتها، في حين تقوم بريطانيا بالدفاع عن الدروز. وعندما فشلت تركيا في وضع حد للحوادث العنصرية بين الطائفتين، قامت فرنسا باحتلال لبنان لمدة سبعة شهور، ثم اضطرت إلى الانسحاب بسبب ضغط بريطانيا ومعارضتها، ووضع للبنان نظام جديد للحكم، عرف باسم متصرفية لبنان، عام 1871. ومنحت فرنسا حق حمايته، واعترفت الدول الكبرى لها في مؤتمر برلين عام 1878 بالحق المطلق في حماية الأراضي المقدسة في فلسطين فواصلت نشاطها التبشيري والاقتصادي والثقافي هناك، وفي مناطق الدولة العثمانية الأخرى وكان ذلك دورة نفوذها في الشام.

دور الجزائر في مقاومة التنافس الاستعماري الأوروبي

إلا أن نفوذهم كان اسميا، بصفة عامة، في نياباته الثلاثة: الجزائر، وتونس، وطرابلس (ليبيا)، في حين لم يخضع المغرب الأقصى أصلا لسلطتهم، وقد واجهت هذه النيابات، وخاصة الجزائر، تهديدا، وحروبا صليبية جديدة من طرف الإسبان والبرتغاليين، ومعظم دول أوروبا الأخرى، في شكل قرصنة دولية خسيسية، مارست النهب، والسلب، والتخريب، بوحشية ضارية، واضطرت هذه البلدان أن ترد على العدوان بمثله، فأسست أساطيل بحرية لتدافع عن كيانها، وشرفها ومقدساتها وحملت الجزائر لواء الجهاد المقدس، وردت بتحد على كل المحاولات الاستعمارية الإسبانية، والفرنسية، والإنجليزية، ولعبت دورا موجها في سياسة ومشاكل حوض البحر المتوسط الغربي.

واستطاعت أن توقف الزحف الاستعماري الأوروبي على المنطقة حقبة طويلة من الزمن، وأرغمت دول أوروبا وأمريكا على شراء السلام، والأمن لأساطيلها في البحر المتوسط، بالأموال والهدايا والمعاهدات. وحلا لدول أوروبا أن تسمي هذا الدفاع عن الوطن والكرامة: قرصنة، وأدخلت من أجل ذلك هذه النيابات في مجال التنافس الاستعماري، واحتد الصراع عليها، خاصة بين فرنسا وبريطانيا. في إطار سياسة التوازن الدولي، ومنع التفوق السياسي والعسكري في حوض البحر المتوسط. ومنذ مؤتمر فيينا عام 1815م، اشتد هذا التنافس بين الدولتين، ورفضتا معا اقتراح سيدني سميث البريطاني إنشاء قوة دولية لمحاربة الجزائر وباقي البيانات الأخرى، كما رفض اقتراح "كاسلري" البريطاني في مؤتمر لندن عام 1816م الداعي إلى تأليف قوة بحرية مشتركة تحت قيادة لجنة دولية ترابط في البحر المتوسط لمدة سبع سنوات، حتى تقضي على كل قوة للجزائر وجاراتها.

وهكذا عجز أيضا مؤتمر إكس لاشابيل عام 1818 مرة أخرى عن إيجاد تسوية واكتفى بإصدار توصية تؤكد على ضرورة وضع حد للأضرار التي تلحقها أساطيل الجزائر، ونيابا المغرب الأخرى بالتجارة الأوروبية، وكلفت فرنسا وإنجلترا بإبلاغها هذه التوصية، وانصرفت فرنسا وإنجلترا بعد ذلك لتحقيق

مطامحها الاستعمارية كل على انفراد. وشاركتا في تحطيم أسطول الجزائر الذي هب لنصرة الدولة العثمانية. والدفاع عنها في موقعة نافارين الشهيرة باليونان عام 1827، وخلق حادث المروحة المفتعل في نفس العام مضاعفات وحساسيات دولية أدت إلى تغلب النفوذ الفرنسي على البريطاني، فسقطت الجزائر في يد فرنسا عام 1830، وتونس عام 1881. والمغرب الأقصى عام 1912، في حين سقطت ليبيا تحت الاستعمار الإيطالي عام 1911 تنفيذا للاتفاق الودي السابق الذي أبرم عام 1904.

القسم الثاني

الاستعمار الحديث في إفريقيا

الاستعمار الحديث في إفريقيا

التنافس الاستعماري الأوروبي على إفريقيا

بدأت طلائع الاستعمار الأوروبي على القارة الإفريقية منذ الحركة الاستعمارية القديمة التي عرفت باسم حركة الكشوف الجغرافية خلال القرنين الخامس عشر والسادس عشر الميلادي، والتي تزعمها مغامرون إسبان، وبرتغاليون، وإيطاليون.

وبعد انتهاء حروب نابليون الأول، والمسألة الشرقية، تفرغت دول أوروبا الغربية والوسطى للحركة والنشاط الاستعماري، وبدأ عصر جديد من النشاط والتنافس الدولي للاستيلاء على مناطق النفوذ، والسيطرة الاستعمارية على بلدان جديدة من العالم، وخاصة في إفريقيا، وآسيا.

وقد تضافرت عدة عوامل لتقوية هذا التنافس، واتجه نشاط الدول الاستعمارية إلى استعمار إفريقيا، وآسيا، والشرق الأقصى، وجزر المحيط الهادي، واحتد الصراع بصفة خاصة على إفريقيا، وتعارضت أطماع الدول الاستعمارية عليها خاصة فرنسا، وإنجلترا، وبلجيكا، والبرتغال، وألمانيا، وإيطاليا، وكاد الصراع أن يتحول إلى مواجهات عسكرية فيما بينها في أكثر من منطقة.

مؤتمر برلين وتقسيم القارة الإفريقية إلى مناطق نفوذ

وعندما اكفهر الجو فيما بينها، وأصبح ينذر بنشوب الحروب والنزاعات اتفقت على عقد مؤتمر عام ببرلين التأم شمله أواخر عام 1884، وأوائل 1885، وتم فيه تعيين مناطق النفوذ لكل دولة على قاعدة التراضي، وقسمت القارة ونظم التسابق الاستعماري عليها بشكل خبيث، وماكر، ولئيم، ووضعت أسس عامة، لهذا التسابق والتقسيم على الشكل التالي دون مراعاة لحقوق الشعوب الإفريقية،

واحترام أملاكها وتقاليدها ومقدساتها القومية:

أولا- يجب مراعاة الأمور التالية:

أ- لا تعلن أية دولة حمايتها على أية منطقة إلا بعد أن تطلع باقي الدول الأخرى على ذلك.

ب - لا تقوم أية دولة بضم منطقة إلا إذا كان ذلك مؤيدا باحتلال فعلي لها.

ج - أن تكون الملاحة والتجارة حرة في نهري: الكونغو، والنيجر، وما يجاورهما.

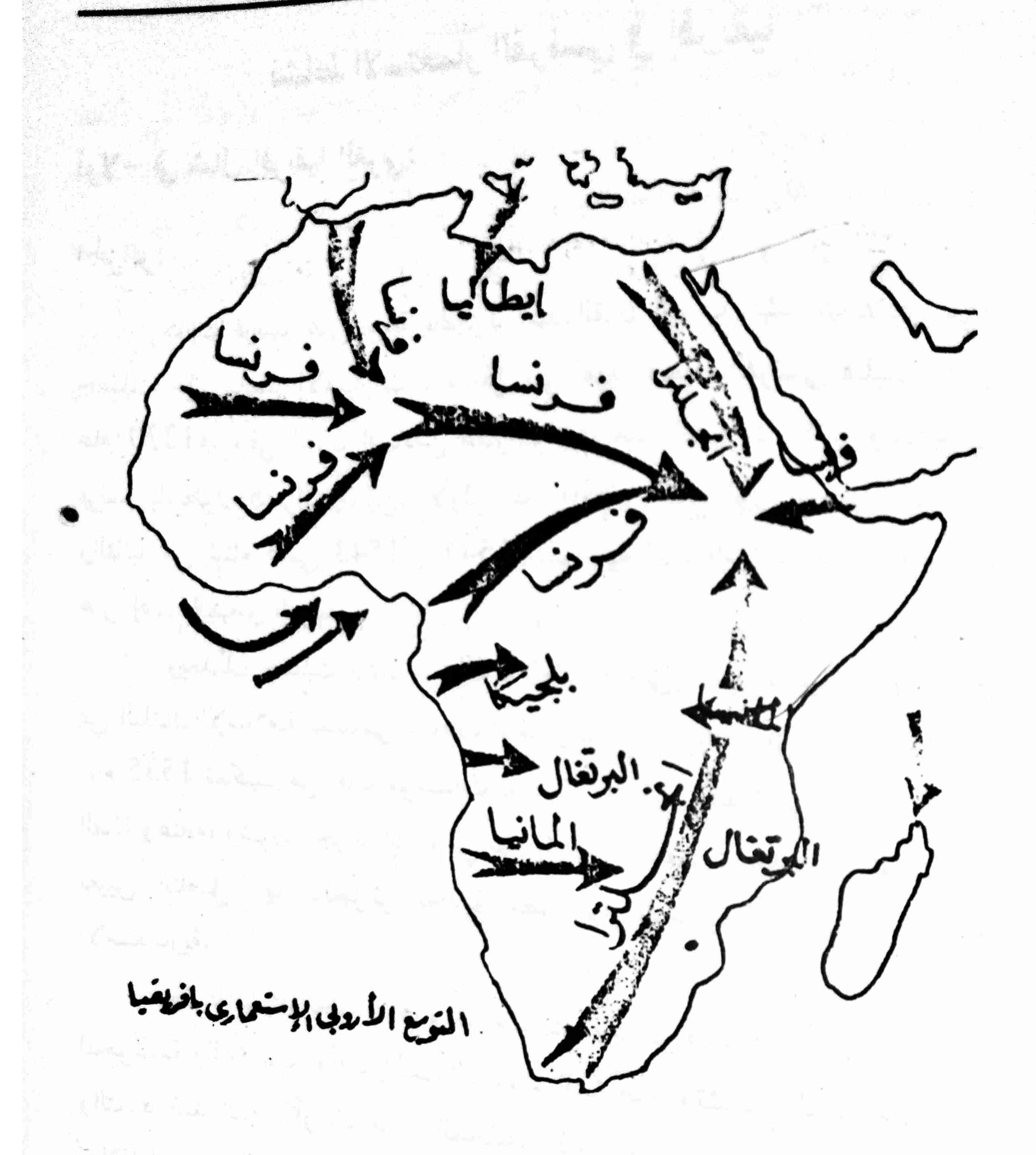
ثانيا- توزع مناطق النفوذ في القارة الإفريقية على الشكل التالي:

أ - منطقة النفوذ الإنجليزي وتشمل: بلدان شمال إفريقيا الغربي، وإفريقيا الغربية، والوسطى والاستوائية.

ب - منطقة النفوذ الإنجليزي وتشمل: غامليا، وسيراليون، وساحل الذهب، ونيجريا، في غرب إفريقيا، زيادة على جنوب إفريقيا، وشرقها، وشمالها الشرقي.

ج - منطقة النفوذ الألماني وتشمل: الكونغو، والكاميرون، وجنوب غرب إفريقيا (ناميبيا) في الغرب، وطانجانيقا في شرق القارة.

ولم يتم تحديد مناطق نفوذ كل من إسبانيا والبرتغال، لأنهما أخذتا حظهما في الحركة الاستعمارية القديمة، لا في إفريقيا فحسب، وإنما في أمريكا كذلك. وسنتحدث عن نشاط كل دولة على حدة لنوضح كيف تم تمزيق القارة الإفريقية. واستغلال خيراتها وإمكانياتها المادية والبشرية، وسيضطرها ذلك إلى العودة إلى ما قبل مؤتمري: برلين الأول عام 1878 والثاني عام 1884.



الزحف الاستعماري الأوروبي على إفريقيا

نشاط الاستعمار الفرنسي في إفريقيا

أولا- في شمال إفريقيا الغربي:

الجزائر:

كانت فرنسا على صلة بالجزائر منذ القرن الثالث عشر الميلادي حيث حصلت على بعض الامتيازات لرعاياها على عهد الملك الفرنسي فيليب الثالث عام 1270م. وفي القرن السادس عشر توثقت هذه الصلات أكثر، واستنجدت فرنسا بأسطول الجزائر مرتين: الأولى عام 1536 لقمع ثورة داخلية بمرسيليا، والثانية في شتاء عامي 1543 و 1544، لمواجهة اعتداءات شارلكان الإسباني، على إقليم المبدي الفرنسي.

وبعد أن حصلت فرنسا من الدولة العثمانية على بعض الامتيازات والحقوق في البلدان الإسلامية بمقتضى معاهدة الامتيازات (Les Capitulations) المشهورة عام 1535 تمكنت من إقامة مؤسسات تجارية، ومراكز لصيد المرجان في سواحل القالة وعنابة، وشرق الجزائر ابتداء من عام 1560، وحصرت منذ ذلك الوقت على تعيين قناصل لها بالجزائر لخدمة مصالحها التجارية، والتمهيد لأهدافها الاستعمارية.

وشيئا فشيئا، تحولت هذه المؤسسات، ومراكز صيد المرجان، إلى قواعد للجوسسة والتخريب، وأوكار لبث الدعايات المغرضة، وتشجيع الناس على الثورة والتمرد ضد الدول أو السلطات المحلية. وذلك بعد أن تم تحصينها، وتسليحها خلافا لما نص عليه اتفاق وترخيص إقامتها. وهكذا أصبحت هذه المراكز مصدر للقلاقل والاضطرابات، والفتن والحروب، ضد البلاد والسكان الذين أصبحوا يرون فيها رمزا لوجود قوات مسيحية نصرانية، محتلة، ولم يستطيعوا السكوت عن نشاطاتها التخريبية والمريبة.

وبذلك بدأت سلسلة المتاعب والأزمات، والحروب الطويلة بين الجزائر وفرنسا، التي لم تنته إلا بحملة الاحتلال الفرنسي للجزائر عام 1830 وتواصلت

حتى حرب التحرير الأخيرة عام 1904- 1962.

ولقد كانت فكرة الاعتداء على الجزائر واحتلالها، متأصلة في أذهان الساسة الفرنسيين منذ أواسط القرن السادس عشر. ففي عهد الملك شارل التاسع اقترحت فرنسا على الدولة العثمانية تعيين أمير فرنسي ملكا على الجزائر مقابل دفع جزية سنوية لها. وفي عهد لويس الرابع عشر حاولت فرنسا احتلال الجزائر مرتين، وأرسلت حملتين عسكريتين إلى كل من القل، وجيجل، والجزائر العاصمة خلال عامي 1763 و1764، فشلتا في مهمتهما وعادتا خائبتين، كما فشلت حملات الأميرالات: دوفور، ودوكين، وديسترى، بعد ذلك.

وبعد قيام الثورة الفرنسية عام 1789، اهتم نابليون الأول بونابرت بأمر احتلال الجزائر، خاصة بعد فشله في احتلال مصر. واقترح عليه تاليران في تقرير قدمه إلى المجمع العلمي الفرنسي، احتلال الجزائر، واتخاذها مستعمرة نموذجية، كنواة لإنشاء إمبراطورية فرنسية فيما وراء البحار وقلده في اقتراحه هذا كل من دوبوا تانفيل، وشاتوبريان، ودو منجوباديا، وأشاروا كلهم في اقتراحاتهم إلى فكرة إرسال مزارعين فرنسيين إلى هناك للاستعمار. ومن وراء هذه المشاريع والاقتراحات، توافد على الجزائر جواسيس فرنسيون للاستعلام والاستكشاف، تمهيدا للغزو والاحتلال ومنهم: الضابط هولان (Hulan) عام 1802 والضابط بوتان عام 1808م.

أزمة الديون وحادثة المروحة.

لقد تعرضت فرنسا بعد ثورة 1789 إلى أزمة اقتصادية حادة ومجاعة خانقة، بسبب الضغط الداخلي من طرف الطبقات الإقطاعية، صاحبة الثورة ورؤوس الأموال، والحصار العسكري والاقتصادي اللذين فرضتهما عليها دول أوروبا المعادية لها ولمبادئ ثورتها فقدمت الجزائر لها يد العون في محنتها، وأمدتها بقروض دون أرباح، ووضعت تحت تصرفها كميات هائلة من الحبوب، والزيوت، تولى نقلها إلى مرسيليا أسطول خاص أعد لهذا الغرض. وارتفعت ديونها بمرور الزمن حتى وصلت إلى 22 مليون فرنك قديم.

وكان مفروضا أن تراعي الجميل للجزائر، وتعيد لها أموالها، ولكنها تنكرت لذلك، وماطلت، وراوغت سنوات طويلة ثم كلفت قنصلها بالجزائر بيير دوفال السيئ السيرة، الخبيث الطوية، بأن يختلق أي حادث ليتخذ مبررا للاحتلال، فاختلق أزمة المروحة صباح يوم عيد الفطر من عام 1242هـ الموافق ليوم 27 أبريل 1827، وادعى أن الداي ضربه بمروحته على وجهه فاعتبرت فرنسا ذلك إهانة لشرفها وكرامتها. وتعامت عن إهانة السفير لكرامة الجزائر في شخص رئيسها الداي. وأخذت تعد لحملة الاحتلال الفرنسية التي ستتم في صيف عام 1830.

الأسباب الحقيقية لحملة الاحتلال الفرنسية

يرتبط احتلال فرنسا للجزائر بعدة أسباب وعوامل سياسية، واقتصادية، واجتماعية، ودينية صليبية، واستعمارية. ولم يكن حادث المروحة المفتعل إلا النقطة التي أفاضت الفنجان كما يقال:

1- كانت فرنسا تشعر بالمرارة من فقدانها لمستعمراتها بأمريكا، والهند ومصر، ورغبت في تعويض ذلك باحتلال الجزائر.

2- كانت ترغب في أن تجعل الجزائر موطنا لفائض سكانها على الآماد البعيدة، ولغير المرغوب في إقامتهم بفرنسا من المجرمين، وذوي السوابق، والمشوشين.

3- كانت ترغب في أن تجعلها مصدرا للمواد الخام المعدنية، وسوقا لمنتجاتها الصناعية وموردا للسواعد البشرية الرخيصة.

4- كانت ترغب في أن تلهي الشعب الفرنسي بغزوها، واحتلالها، وتسكت أصوات المعارضة في البرلمان الفرنسي، والصحافة، والنوادي، وتصرف أنظارها عن المشاكل الداخلية المتدهورة.

5- كانت ترغب في محاربة الإسلام ونشر المسيحية على حسابه، وتنصير وتمسيخ الشعب الجزائري أو قسم منه على الأقل.

6- وجاء حادث المروحة ليفتق الرتق، ويشعل النار فاستغلته فرنسا إلى أبعد حد، وأرسلت حملة بحرية عام 1827 حاصرت مدينة الجزائر ثلاث سنوات

كاملة ثم أردفتها بحملة ضخمة عام 1830 احتلتها يوم 5جويلية وفقدت الجزائر حريتها واستقلالها لمدة قرن واثنين وثلاثين عاما. عانى خلالها شعب الجزائر كل ألوان الاضطهاد والزجر والتشريد، والقتل، وجرد من كل أملاكه العقارية والحيوانية التي أعطيت لشذاذ الآفاق من كل الأجناس الأوروبية.

تـــونس:

بعد أن أحكمت فرنسا سيطرتها على الجزائر تماما، واهتمت بأمر تونس، وأخذت تتحين الفرص والمناسبات للانقضاض عليها. وظلت نصف قرن كامل تبعد عنها أيدي الطامعين من الأوروبيين المنافسين لها في ميدان الاستعمار، حتى فازت بها في النهاية وكان بايات تونس يشعرون بنواياها التوسعية، ولكنهم لم يكونوا في مستوى الأحداث والتطورات ولذلك عجزوا عن تجنيب بلادهم ويلات الاحتلال، بل إن سياستهم هي التي مكنت الفرنسيين من احتلالها.

فمحمد الصادق باي كان يستدين الأموال والقروض من فرنسا، وشركاتها الرأسمالية للإنفاق على قصوره، وعلى مشاريع اقتصادية غير مدروسة، وذلك مقابل منحها امتيازات مد بعض خطوط الهاتف ومجاري المياه، وأتاح ذلك لفرنسا فرص التدخل في شؤون تونس الداخلية، والوقوف في وجه قوات الدولة العثمانية التي جاءت لمساعدة قوات الباي ضد ثورة علي بن غذاهم الداخلية.

ولم يكتف محمد الصادق بهذا فمنح إنجلترا امتياز مد خط حديدي بين تونس وحلق الوادي عام 1871، ورأت إيطاليا في كل هذه المشاريع خطرا على أطماعها التوسعية هي بتونس كذلك، باعتبارها امتدادا طبيعيا لبلادها. وهي أولى من غيرها وأقرب لاحتلالها واستعمارها.

وعندما ظهر التنافس على أشده بين هذه الدول قامت فرنسا بإرضاء كل من بريطانيا وإيطاليا، وقبلت أن تقوم الأولى باحتلال قبرص خلال مؤتمر برلين الأول عام 1878 وسكتت ألمانيا وأيدت فرنسا في مساعيها للحصول على تونس، حتى تصرفها عن محاولة استرداد إقليمي الإلزاس واللورين اللذين فقدتهما في حرب عام 1870 وتحول أنظارها عن الأخذ بالثأر لهزيمتها.

حملة الاحتلال عام 1881

وكان جول فيري رئيس الوزارة الفرنسية، قد بنى سياسته التوسعية على خدمة مصالح فرنسا الاقتصادية وفتح أسواق جديدة لإنتاجها الصناعي والتجاري، وعلى الرغبة في التوسع والسيطرة لفرض تفوقها العنصري، ومواجهة النفوذ البريطاني المتزايد.

وبعد أن تهيأت كل الظروف الدولية أخذ يهيئ فرص التدخل في تونس فاستغل امتناع الباي عن بيع ضيعة تونسية لإحدى الشركات الفرنسية، وفقدان تلك الشركة لامتياز ضد خط حديدي لصالح شركة إيطالية في مزايدة علنية. واتخذت من حوادث قبائل جبال خمير التونسية قرب الحدود الجزائرية، سببا لإرسال حملة عسكرية برية وبحرية إلى تونس يوم 24 أبريل 1881، بدعوى مساعدة الباي على القضاء على تلك الاضطرابات والاقتصاص من تلك القبائل، رغم أن الباي رفض هذه المساعدة، وأعلن قدرته على توقيع القصاص بنفسه دون مساعدة.

والحقيقة أن هذه الحوادث دبرها وأثارها عضو في إحدى الشركات الفرنسية حيث دفع بعض الأشخاص لذبح عدد من العمال الأجانب التابعين لشركة السكك الحديدية التي تعمل بين عنابة وقالمة، وكلهم من الإسبان والمالطيين، ونفذت المؤامرة، وكان من مدبريها باناريللو، وإلياس موصللي، الذين كانت زوجته عشيقة القنصل الفرنسي بتونس. ولهذا وكوفئ الأول بالوسام الأكبر من جوقة الشرف، والثاني بتعيينه حاكما على قابس.

إعلان الحماية

بعد أن عجزت القوات الفرنسية البرية، عن التقدم داخل البلاد التونسية بسبب شدة المقاومة، وكثرة الأوحال الناجمة عن الإمطار، تمكنت القوات البحرية من النزول في ميناء بنزرت يوم 11 ماي، ومن هناك تقدمت إلى مدينة تونس العاصمة، وفرضت الحصار على قصر الباي بباردو، وأرغمته على توقيع معاهدة الحماية يوم 12 ماي 1881 ومن أهم بنودها:

1- يتم التعاون بين تونس وفرنسا على أسس المعاهدات والاتفاقات

السابقة.
2- تحتل القوات الفرنسية العسكرية مراكز معينة على السواحل التونسية وعلى حدودها الغربية المجاورة للجزائر.
3- تتعهد فرنسا بحماية الباي من أي خطر يهدده أن يعبث بأمن مملكته.
4- تتعهد حكومة الباي منع إدخال الأسلحة والذخائر الحربية إلى جربة والمواني الساحلية.
5- ترحل القوات الفرنسية عن تونس عندما تتفق السلطتان: الفرنسية والتونسية، على أن الأمور عادت إلى مجراها الطبيعي وزال الخطر الذي كان يهدد البلاد.

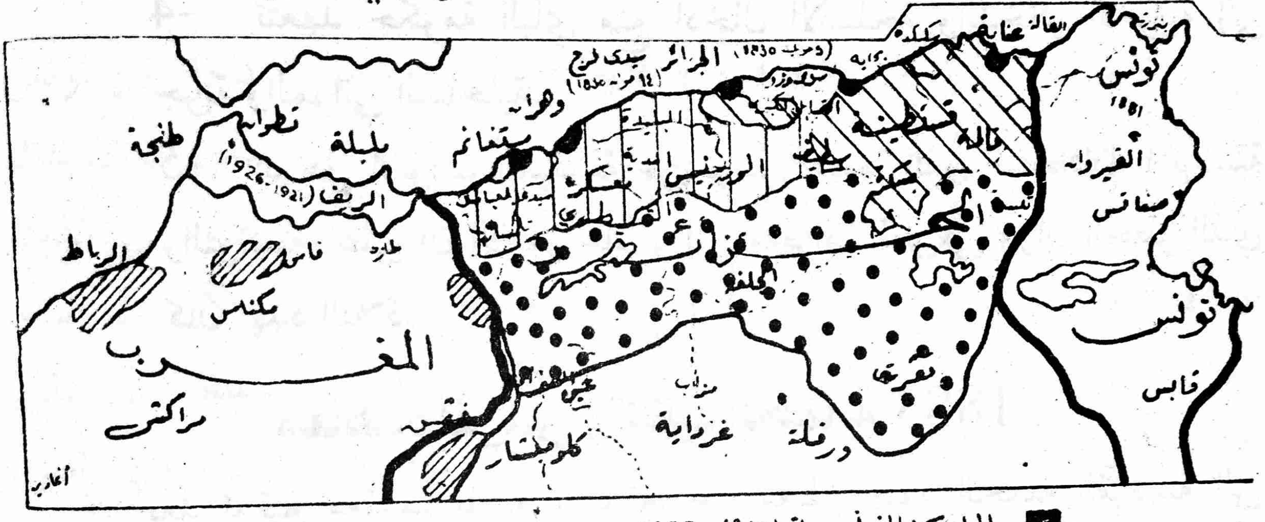
معاهدة المرسى وتنظيم الحماية 1883

بعد توقيع معاهدة باردو السابقة، عاد معظم جنود الحملة الفرنسية إلى بلادهم وتصورت فرنسا أن الأمر قد استقر لها بتونس، ولكن التونسيين في الوسط والجنوب ثاروا في صيف ذلك العام ونظموا مقاومة عنيفة ضد الاحتلال وأعوانه، فقامت فرنسا بحشد عدة آلاف من الجنود وعاودت احتلال البلاد عسكريا منطقة فمنطقة ثم أخذت تنظم سيطرتها على البلاد إداريا وسياسيا وعينت قنصلها السابق هناك "روستان" وزيرا مقيما لها، ووسيطا بين حكومة الباي، وممثلي الدول الأجنبية بتونس.

ولكنها رغم كل هذا كانت تشعر بضعف مركزها بسبب قيود معاهدة باردو، فضغطت على الباي الجديد، علي باي، وأقنعته بإمضاء معاهدة المرسى الجديدة يوم 8 جوان 1883، وتتلخص بنودها في الأمور التالية:

1- تؤكد كل ما جاء في معاهدة باردو السابقة.
2- تعهد الباي بإدخال إصلاحات جديدة إدارية وعدلية حسبما تقترح عليه الحكومة الفرنسية.
3- تضمن فرنسا لتونس قرضا ماليا تقدمه لها على أن يمتنع الباي عن أخذ أي قرض من غيرها دون إذن منها.

نشاط الاستعمار الفرنسي فى أفريقيا



- المراكز الفرنسية (1830 - 1837)
- التوسع الاقليمي الفرنسي من 1837 (بموجب معاهدة التافنة) إلى 1847 (استسلام الأمير عبد القادر)
- أراضي تابعة للأمير عبد القادر من 1837 الى 1847
- توسع الاستعمار الفرنسي من 1847 الى 1870
- من 1870 الى 1890
- منذ 1890 (في المغرب منذ 1911)
- أراضى تحت رقابة القوات الفرنسية في المغرب قبل 1911
- الحدود الحالية

الإستعمار الفرنسي في افريقيا الشمالية

المغرب الأقصى:

وبعد أن انتهت فرنسا من فرض سيطرتها على تونس، أخذت تمهد السبيل، وتعد الأسباب والظروف لاحتلال المغرب الأقصى الذي كان التنافس الاستعماري عليه شديدا بينها وبين إنجلترا، وألمانيا، وإسبانيا، وإيطاليا، لتعارض المصالح الاستعمارية. وقد حصلت من مؤتمر مدريد عام 1880، على حق حفظ الأمن على الحدود، وتتبع القبائل إلى داخل الأراضي المغربية، وحصل كثيرا من الرأسماليين الفرنسيين على امتيازات إصلاح المواني، وتنظيفها، وتسييرها، خاصة ميناء الدار البيضاء.

وفتح السلطان عبد العزيز باب الاستدانة من الدول الأجنبية فجلب بذلك أطماع الدول الأوروبية ضد بلاده، ومهدت فرنسا لاحتلاله بسلسلة من الاتفاقيات الثنائية مع الدول التي كانت لها نفس الأطماع فيه.

- فأبرمت مع إيطاليا اتفاق عام 1902 تنازلت لها فيه عن ليبيا مقابل إطلاق يدها هي في المغرب.

- وأبرمت مع بريطانيا الاتفاق الودي عام 1904 تنازلت لها فيه عن مصر مقابل حصولها هي على المغرب.

تدخل ألمانيا ومؤتمر الجزيرة الخضراء 1906

وقد غضبت ألمانيا من إبرام هذين الاتفاقين دون علمها واستشارتها، فحاولت أن تثير زوبعة وأعلن إمبراطورها غليوم الثاني في طنجه عام 1905 عن تأييد ألمانيا لسيادة السلطان عبد العزيز الشرعية، ضد كل تدخل أجنبي، وأدى هذا الموقف إلى اتفاق الدول رغم معارضة فرنسا، على عقد مؤتمر الجزيرة بإسبانيا عام 1906، ولكن نتائجه جاءت لصالح تقوية نفوذ فرنسا إذ أسنده إليها رئاسة كتائب الشرطة المغربية في الرباط، وموقادور، (الصويرة)، ومزغان، في حين أسندت إدارة مواني الدار البيضاء وطنجة إلى شرطة دولية، وإدارة تيطوان إلى شرطة إسبانيا.

وهكذا وقع المغرب الأقصى بين فكي كماشة فرنسية، وقامت قواتها في

الناحية الغربية الأطلسية باحتلال الدار البيضاء، عام 1907، بينما أخذت قواتها المرابطة في الشرق المغربي قرب وجدة بالتوغل داخل الأراضي المغربية والتقت هذه القوات بمدينة فاس العاصمة عام 1911 بطلب ودعوة من السلطان عبد الحفيظ الذي عجز عن مقاومة الثائرين ضده. وفرضت هذه القوات الفرنسية سيطرتها على فاس ومكناس ومراكش.

وعندما حاولت ألمانيا أن تتدخل من جديد فيما عرف بأزمة أقادير، وقف الرأسماليون الفرنسيون ضدها، وقطعوا عليها الطريق اقتصاديا وامتنعوا عن شراء أسهمها في الشركة الألمانية، فاستسلمت لضغوطهم وأبرمت مع فرنسا في نوفمبر 1911 اتفاقا اعترفت فيه لها بفرض حمايتها على المغرب الأقصى مقابل منحها قطعة صغيرة في مدخل الكونغو الفرنسي بغرب إفريقيا.

كذلك قامت فرنسا بإرضاء إسبانيا في نفس الشهر والسنة، وتنازلت لها عن إدارة منطقة الريف الشمالية مع احتفاظ السلطان بحقوقه الشرعية في السيادة ووحدة التراب ووضعت مدينة طنجة تحت إدارة دولية من ثماني دول أوروبية.

توقيع معاهدة الحماية

وبعد ذلك وقعت فرنسا مع السلطان المغربي في 30 مارس 1912 معاهدة الحماية على غرار معاهدة الحماية التونسية، وقسمت البلاد بمقتضاها إلى ثلاثة دوائر إدارية:

أولا- إدارة شريفية تقليدية يتولاها الوزير الأعظم بمشاورة المقيم العام الفرنسي.

ثانيا- إدارة شريفة جديدة يتولاها المثقفون المغاربة تحت إشراف فرنسي في المسائل الفنية كالصحة مثلا.

ثالثا- إدارة فرنسية محضة تختص بشؤون الجالية الفرنسية، وتكون مستقلة تماما ولا تخضع بأي شكل لإدارة الحكومة الشريفية.

ثانيا- في غرب إفريقيا:

يرجع اتصال فرنسا بغرب إفريقيا إلى القرن السابع عشر، وما قبل ذلك. وبدأت نشاطها الاستعماري هناك بإقامة مراكز ومحطات تجارية للإتجار بالرقيق، واستخدامهم في الحروب. وكانت مراكزها الرئيسية الأولى بالسينغال وأهمها مركز سان لوي قرب مصب نهر السينغال الذي اتخذه التجار الفرنسيون قاعدة لنشاطهم التخريبي. والتسلل إلى دواخل القارة، بحثا عن المعادن، والعاج، ولاقتناص العبيد، وتصديرهم إلى أسواق أمريكا الشمالية.

ومنذ عام 1817 أخذت فرنسا تتوسع في حوض السينغال إلى الداخل للاستيلاء على المزيد من المناطق والسيطرة عليها. وكان المغامر الفرنسي روني كايي قد بدأ منذ عام 1815 تسلله على غينيا. وتمبوكتو، انطلاقا من المغرب الأقصى وتظاهر بالإسلام وارتدى اللباس الإسلامي ليخفي مسيحيته، وأوروبيته ومشاريعه التجارية والتجسسية لصالح الاستعمار الفرنسي، وهو الذي مهد لتوسع الفرنسيين إلى غابات غينيا وأدغالها.

وفي عهد الجمهورية الفرنسية الثانية تكلف حاكم سان لويس الفرنسي: "فيد مرب" بحركة التوسع والاستغلال لصالح الاستعمار الفرنسي فأخذ يتفاوض مع القبائل الإفريقية، وزعمائها لتنظيم التبادل التجاري وتصدير منسوجات ومصنوعات المستعمرة الفرنسية وشراء المواد الأولية منها. وفي نفس الوقت اهتم بإنشاء المراكز التجارية الاستعمارية بين السينغال والنيجر، وعقد عدة معاهدات للحماية مع زعماء القبائل من أجل تحقيق حماية المراكز الفرنسية.

وابتداء من عام 1854 أصبح نفوذ فرنسا قويا بالسينغال وتمكن الفرنسيون من السيطرة على كوتونو وبواتو نوفو، بالداهومي، وأقاموا قلاعا حربية ووكالات تجارية هناك، ورفضوا أن يمتثلوا لقوانين البلاد، ويدفعوا الضرائب السنوية المطلوبة منهم لزعماء القبائل. وأطلق نابليون الثالث العنان للمغامرين الفرنسيين الذين حولوا السينغال إلى مستعمرة حقيقية. ومنها زحفوا إلى الداهومي وأعالي النيجر. واحتلت القوات العسكرية الفرنسية المنطقة الممتدة من منابع النيجر إلى تمبوكتو بمالي، في

الفترة من عام 1881 إلى 1883م.

واستغلت فرنسا انعقاد مؤتمر برلين أواخر عام 1884 فبادرت بإعلان حمايتها على مناطق نفوذها في غرب إفريقيا استنادا إلى المعاهدات والاتفاقات السابقة التي عقدتها التجار والمبشرون الفرنسيون مع زعماء القبائل وظهر إلى الوجود ما عرف بالسودان الفرنسي، عام 1887. وتأسست مستعمرات غينيا، وساحل العاج عام 1892، والداهومي عام 1894، ومالي عام 1897م.

وكانت فرنسا قد عقدت مع بريطانيا عام 1890 اتفاقا يقضي بإطلاق يدها في المنطقة الواقعة جنوب المغرب الأقصى إلى خط يمتد بين ساي على نهر النيجر، وباروفا على بحيرة تشاد، وجدد هذا الاتفاق عدة مرات. وفي عام 1899 عقدت معها اتفاقا آخر حصلت بموجبه على تيبستي وبوركو، ووداي، بالتشاد، وعلى حق ربط مستعمراتها الشمالية والغربية والوسطى. وعندما حاولت تطبيق ذلك اصطدمت بمقاومة الحاج عمر وأولاده وأنصارهم، ومقاومة رابح السوداني في المنطقة. والتوارق، وقبائل التيبو، بالهقار، والسنوسيين بليبيا، فاضطرت إلى إنشاء منطقة النيجر العسكرية عام 1901، واحتلت أقادس، ونجيجمي، وبلما، ومنطقة تيبستي كلها أوائل الحرب العالمية الأولى، وتعاونت معها بريطانيا في القضاء على مقاومة التوارق بالهقار، والصحراء الوسطى الإفريقية.

وهكذا أنشأت فرنسا، منذ عام 1899 منطقة استعمارية واسعة في غرب إفريقيا عن طريق العزو، والقهر، وأعادت تنظيمها عام 1904، فأصبحت تتألف من اتحاد يشمل: السينغال، وموريطانيا، ومالي، وفولتا العليا، والنيجر، وغينيا، وساحل العاج، والمداهومي (بينين حاليا)، وأنشأت لهذا الاتحاد حكومة عامة في سان لوي بالسينغال، وجعلت مدينة داكار وميناءها، عاصمة اقتصادية.

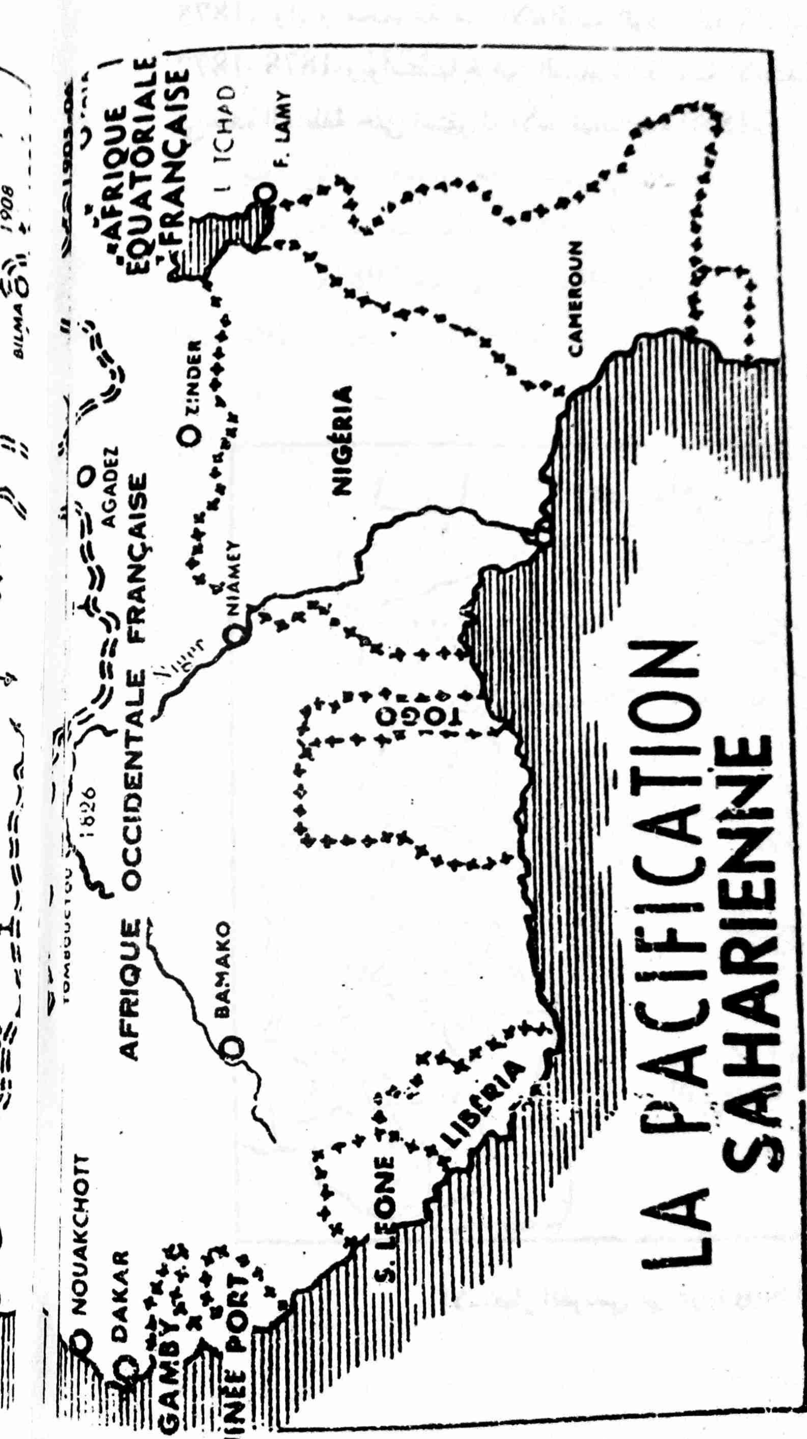
ثالثا- في إفريقيا الاستوائية:

وفي إفريقيا الاستوائية نشط المغامرون الفرنسيون في حركة التوسع الاستعماري تحت ستار الاستكشاف، والتجارة، ومن أبرزهم: سافورنيان دو برازا: (De brazza) الإيطالي الأصل الذي بدأ حركة الاستكشاف شمال الكونغو عام

1875، وأبرم مجموعة من الاتفاقات الودية مع زعماء القبائل فيما بين عامي 1877-1878 وبواسطتها فرض السيطرة الفرنسية الاستعمارية عليها، وبقي يتوسع في هذه المنطقة حتى استقر له الأمر نهائيا عام 1880م.



الاستعمار الفرنسي في غرب ووسط افريقيا



التوسع الاستعماري الأوروبي في افريقيا التجار والمبشرون

وكان مجرد غرس العلم في أية منطقة كافيا، لاعتبارها ملكا للدولة، التي ينتمي إليها المغامر المستكشف وهو ما فعله ستانلي لصالح بلجيكا، دوبرازا لصالح فرنسا وكتشنر لصالح بريطانيا في أماكن كثيرة من إفريقيا.

فقد التقى دوبرازا أثناء توسعه في إفريقيا الاستوائية، بالعلم البلجيكي الذي غرسه ونصبه ستانلي على ضفة نهر الكونغو في المكان الذي تقوم عليه اليوم مدينة كينشازا (ليوبولدفيل سابقا) فانزعج من ذلك، وقام هو بغرس العلم الفرنسي على الضفة المقابلة له في المكان الذي تقوم عليه الآن مدينة برازافيل عاصمة الكونغو الشعبية بإفريقيا الاستوائية.

ولما كان غرس الأعلام على هذا الشكل ينذر بالتصادم وقيام الحروب بين الدول الاستعمارية المتنافسة، فقد دعت هذه الدولة إلى عقد مؤتمر دولي ببرلين أواخر عام 1884 واتفقت فيه على تقسيم القارة الإفريقية إلى مناطق نفوذ خاصة لكل واحدة منها كما أشرنا إلى ذلك سابقا، وبعد ذلك تفرغت فرنسا لفرض سيطرتها على منطقة نفوذها مؤملة أن توصل نفوذها إلى منابع وادي النيل، وتكون إمبراطورية فرنسية واسعة تمتد من المحيط الأطلسي غربا إلى البحر الأحمر شرقا. وقويت حوافزها بوجود البريطانيين في السودان المصري. فجهزت حملة عسكرية للضابط مارشان قادها إلى فاشوده، في شهر جويلية 1899 وغرس العلم الفرنسي بها، وذلك في الوقت الذي كانت فيها القوات المصرية والإنجليزية تتقدم من السودان بقيادة كيتشنر إلى الأقاليم الاستوائية التابعة للسودان المصري، وغرست هي الأخرى العلم المصري في فاشودة، على اعتبارها أنها سودانية مصرية، وطلب كيتشنر من مارشال أن يسحب العلم الفرنسي، فحصل صراع وشجار واحتكاك كاد أن يتحول إلى حرب ونزاع مسلح بين الدولتين، لولا تراجع فرنسا عن موقفها، وسحبها للعلم الفرنسي من القرية، فاتفقت الدولتان على أن يكون خط تقسيم مياه الكونغو، والنيل، الحد الفاصل بين الكونغو الفرنسي والسودان المصري الإنجليزي.

حملة فور ولامى من الجزائر الى زندر١٨٩٨

Itinéraire saharien de la Mission Foureau-Lamy. (Cliché Notre Sahara.)

وعندما حاولت فرنسا أن تتوسع شمالا إلى بحيرة تشاد، اصطدمت بقوات المقاوم الوطني رابح السوداني، وتصارعت معها طويلا، ولم تستطع أن تتغلب على زعيمها إلا عام 1900 بعد أن وجهت إليه ثلاثة طوابير عسكرية كبيرة من الجزائر، والسينغال، والكونغو والتقت كلها في مدينة فورلامي، عاصمة تشاد الحالية. وسيطرت على المنطقة كلها. وكونت حكومة عامة لإفريقيا الاستوائية التي تشمل: الكونغو، وأوبانجي شاري (إفريقيا الوسطى) والغابون، وتشاد.

رابعا– في شرق إفريقيا:

الصومال:

اهتمت فرنسا بمدخل البحر الأحمر الجنوبي، في إطار التنافس مع بريطانيا التي احتلت عدن منذ عام 1839، وفرضت سيطرتها على كل إمارات جنوب شبه الجزيرة العربية، والخليج العربي الفارسي. وأوفدت إلى هناك الضابط هنري لامبير (Henri Lambert) عام 1883. ليقوم باختيار نقطة ومركز يصلح لرسو السفن والمراكب الفرنسية في شرق إفريقيا فنزل في مدخل البحر الأحمر، واشترى قطعة أرض من مشاييخ الجهة. وحول العقد بعد مدة إلى معاهدة مكنت له وللقوات الفرنسية احتلالها. وبعد عام من إبرام هذه المعاهدة أبرم عقد آخر مع سلطان وأمير تاجورا على الضفة الأخرى، تنازل له بموجبه على عدة مواقع تمتد إلى رأس الخليج.

ومن هذه المواقع على خليج تاجوره أخذت فرنسا تتحكم في طرق القوافل البرية بين الخليج وإقليم هرر الحبشي، وحاولت بريطانيا أن تسيطر على ميناء زيلع جنوب تاجورة، وظهر صراع استعماري حاد بينهما من أجل السيطرة على منابع النيل. وأخيرا اتفقتا على تقسيم مناطق نفوذها في خليج تاجوره، وتعهدتا بعدم التقدم إلى هرر الحبشية، ودفعت فرنسا إمبراطور الحبشة المسيحي وشجعته على احتلال إقليم أوقادين الصومالي، والتقدم إلى هرر.

ومنذ هذه الفترة استقرت فرنسا بجيبوتي (1888) واتخذت عاصمة ومركزا لمراقبة البحر الأحمر ومواجهة ميناء ومدينة عدن، ومزاحمتهما ومراقبة النشاط البريطاني الاستعماري في اليمن وجنوب شبه الجزيرة العربية.

مدغشقر وجزر القمر:

بدأ الفرنسيون يتصلون بجزيرة مدغشقر منذ أوائل القرن السادس عشر عن

طريق البعثات التبشيرية، المسيحية والتجار المغامرين الذين استهدفوا استمالة السكان الأهالي إليهم، وكان الساحل الجنوبي الشرقي للجزيرة هو المكان الذي نزلوا فيه أول مرة، وأسسوا به عدة مراكز. واستولى التاجر الفرنسي المخاطر: كاوش على ثلاث جزر تابعة لمدغشقر هي: ديجورى (رودريجو) ورييونيومون، وسانت أبولوني (موريس حاليا).

وبعد أن تأسست شركة الهند الشرقية الفرنسية نزل الفرنسيون بميناء فورد دوفيل في الجنوب الشرقي للجزيرة منذ عام 1683م. وأنشأوا بالمنطقة عدة مراكز، ومستعمرات قارة، ووصل إلى الجزيرة عن طريقها عدة مبعوثين رسميين من طرف الدولة الفرنسية. لوضع تقارير عنها، أكدوا كلهم عن أهميتها الاستراتيجية، ودعوا إلى احتلالها ليعوضوا بها فقدان وضياع جزيرة سان دومينيك بأمريكا الوسطى، وليواجهوا كذلك النفوذ البريطاني المتزايد في المحيط الهندي وشرق إفريقيا.

وقد امتاز مطلع القرن التاسع عشر، بنشاط استعماري فرنسي مكثف في هذه المنطقة بعد أن سيطرت بريطانيا على جزر موريس، وسيشل، وأخذت تسعى لتصفية النفوذ الفرنسي من مدغشقر، وعلى هذا الأساس أعادت تنظيم شركتها الشرقية وفرضت سيطرتها الاستعمارية على بعض الموانى الشرقية شمال مدينة وميناء تاناناريف، واحتلت جزيرة سان ماري القريبة منها.

سياسة فرق تسد:

ومنذ أن نزل الفرنسيون بجزيرة مدغشقر، وهم يواجهون مقاومة وطنية عنيفة من طرف الشعب الملاغاشي الذي رفض بإصرار، السيطرة الفرنسية الاستعمارية. وتضاعفت مصاعب الفرنسيين، بسبب النشاط البريطاني التوسعي الاستعماري بالمنطقة كما ذكرنا. ولذلك لجأت فرنسا إلى سياسة التفرقة، وبث الخلاف والشقاق بين السكان. فاستمالت إليها قبائل السكلاف. واستعانت بها ضد قبائل الهوفا صاحب السلطة الفعلية والنفوذ بالجزيرة، وقامت حكومة شارل العاشر بإرسال قوات عسكرية كبيرة إلى الجزيرة قامت بقنبلة ميناء تاناناريف قبل أن تسيطر عليه، وفي عام 1840 أعلنت حمايتها على جزيرة نوسيبي ثم على جزيرة نوسي ميتسيو، وبعض جزر أرخبيل القمر. وفي عام 1881 أعلنت حمايتها على السواحل الشرقية الشمالية لمدغشقر على أثر مقتل بعض التجار الفرنسيين الذين كانوا يمارسون الجوسسة، والتخريب، وساعدتها الظروف الدولية على احتلال الجزيرة كلها، لأن بريطانيا كانت مشغولة باحتلال مصر، والولايات المتحدة الأمريكية ما تزال تضمد جراحها من حرب الانفصال الأهلية.



الاستعمار الفرنسي في شمال وغرب ووسط افريقيا

وهكذا قامت فرنسا بعد انتهائها من احتلال الهند الصينية، بإعلان حرب واسعة، غير متكافئة على حكومة جزيرة مدغشقر الوطنية في ماي 1883، واحتل أسطولها ميناء ماجونجا، والتف حول الجزيرة حتى وصل إلى تاماتاف، وحطم منشآت حكومة الهوفا على طول السواحل الشرقية. واستمرت عدة أسابيع ثم توقفت ووقع صلح مؤقت حصلت فرنسا بموجبه على ميناء دييجو سواريز، وعلى حق السيطرة على الشؤون الخارجية لحكومة الجزيرة، وإنشاء وكالة فرنسية بها.

وفي عام 1886 اتفقت فرنسا وبريطانيا على أن تحتل الأولى مدغشقر والثانية جزر زنجيبار، واعترفت بريطانيا بحماية فرنسا على الجزيرة بمقتضى اتفاق أوت 1890.

وقد قاوم شعب الجزيرة بعنف، الاحتلال الفرنسي، واضطرت فرنسا أن تحشد 25 ألف جندي عام 1890 احتلوا الجزيرة منطقة فمنطقة على أشلاء شهداء الحرية وامتدت الحرب تسعة أشهر كاملة، إلى أن اضطرت مدينة تاناناريف العاصمة إلى الاستسلام يوم 30 سبتمبر 1895، فقامت فرنسا بإعلان الحماية على الجزيرة من جانب واحد فقط في مطلع العام الموالي. واعتقلت ملكة الجزيرة ونفتها إلى الجزائر. ولم تكتف بها فقامت بإلغاء الحماية وألحقت الجزيرة بفرنسا عام 1898 كما فعلت بالجزائر عام 1834 و 1848 في شمال القارة.

الاستعمار الاوروبي في شرق افريقيا

نشاط الاستعمار الإنجليزي في إفريقيا

اطماع الإنجليز في إفريقيا:

بدأ الإنجليز نشاطهم الاستعماري في إفريقيا، خلال الموجة الاستعمارية التي اجتاحت دول أوروبا في نهاية القرن التاسع عشر. وكان روادها الاستعماريون قد وضعوا في اعتبارهم السيطرة على أكبر مناطق القارة التي أصبحت فريسة لشهوات وأطماع الساسة الأوروبيين، والمغامرين المرتزقة الذين يعملون لحسابهم ومصالحهم.

وقد استهدف سيسيل رودس عميد الاستعمار البريطاني في تحقيق إقامة إمبراطورية بريطانية تمتد من مصر شمالا إلى رأس الرجاء الصالح جنوبا، وتحتوي على حوض النيل، واقليم البحيرات، وحوض الزامبيري، وكل الأقاليم حولها.

أولا- في جنوب القارة الإفريقية:

وصل الإنجليز إلى جنوب إفريقيا منذ عام 1795 وانتزعوا من الهولنديين مستعمرة الرأس، واتخذوها مركزا لأساطيلهم وقراصنتهم، وأرغموا هولندا على التنازل عنها رسميا بعد مؤتمر فيينا عام 1814، وحولوها إلى مستعمرات بريطانية. ومنها أخذوا يتوسعون في المنطقة، ويشجعون هجرة الأوروبيين البيض لها لتكثير عددهم، وفرضوا اللغة الإنجليزية، وألغوا محاكم الهولنديين، وعوضوها بمحاكم إنجليزية ليحكموا سيطرتهم على البلاد تماما.

وبسبب هذه السياسة الاستعمارية، اضطر الوطنيون الأفارقة والبوير الهولنديون إلى الهجرة بالجملة إلى المناطق الداخلية البعيدة، فرارا من الظلم، والاضطهاد، وأعمال السخرة، واستوطنوا في مقاطعات الناتال ولكن المستعمرين الأوروبيين تبعوهم إلى هناك، وأرغموهم على الهجرة فرحلوا إلى حوض الأورنج والفلد، فيما بين 1835 و1840 حيث أسسوا هناك جمهوريتي الأورنج الحرة، والترانسفال.

وبعد أن تم اكتشاف الماس في الأورنج عام 1846، والذهب في الترانسفال عام 1882 قررت حكومة دزرائيلي البريطانية، مطاردة البوير، والاستيلاء على الجمهوريتين وقام سيسيل رودس بتأسيس شركة جنوب إفريقيا البريطانية عام 1889 لاستغلال هذه الثروات المعدنية، وربط مستعمرتي: الرأس، والأورنج الحرة، في اتحاد جمركي. وضم إليهما ياستولندى عام 1891، والناتال عام 1898، وتوسع عسكريا حتى وصل إلى بحيرة نياسا، وضم كل تلك المناطق إلى سيطرة بريطانيا، وأطلق عليها فيما بعد اسم روديسيا تكريما له وتخليدا.

حرب البوير 1899-1902

وبسبب هذه النجاحات التي أحرزها رودس، عين رئيسا لوزراء مستعمرة الرأس. وكلف باستعمار كل المناطق الباقية، وضمها للتاج البريطاني، وخلال توسعه الاستعماري اصطدم بقبائل الزولو، الوطنية وغيرها كما اصطدم بالمغامر البريطاني بول كروجر (Paul Croger) المنافس له والذي كان يسيطر على جمهورية الأورنج، ويعمل على إنشاء اتحاد مستقل عن بريطانيا يشمل كل المناطق التي كانت تحت الاستعمار الهولندي. وقد اقترن النزاع والصراع بين المغامرين البريطانيين، بمسألة معاملة المستوطنين البريطانين في الترانسفال ومقادير الضرائب التي تفرض عليهم.

ومن أجل ذلك أعلن كروجر انفصاله عن السيادة البريطانية عام 1899، واعتبر عمله وتصرفه هذا خطيرا، فبدأت حرب البوير المريرة التي دامت ثلاث سنوات كاملة. ولم تكن حربا متكافئة، فاستسلم البوير، وأرغموا على قبول شروط الصلح البريطانية في ماي 1902 التي نصت على إخضاع جمهوريتي: الأورنج، والترانسفال للسيطرة البريطانية على أن تمنحا استقلالا داخليا.

إنشاء اتحاد جنوب إفريقيا العنصري:

وبعد انتهاء هذه الحرب، حصل الجنرال سمطس، على الاستقلال الداخلي للدولتين عام 1906، ودخل مع بريطانيا في مفاوضات طويلة حتى عام 1909

حيث توصل إلى ابرام اتفاق معها أنشأ بموجبه اتحاد جنوب إفريقيا العنصري من ولايات: الأورنج، والترانسفال، والرأس، والناتال، ووعد البوير بأن تكون لهم حكومة مستقلة تحت التاج البريطاني. وأصبح هذا الاتحاد عضواً في رابطة الكومنولث البريطاني.

استعمار نياسلاند:

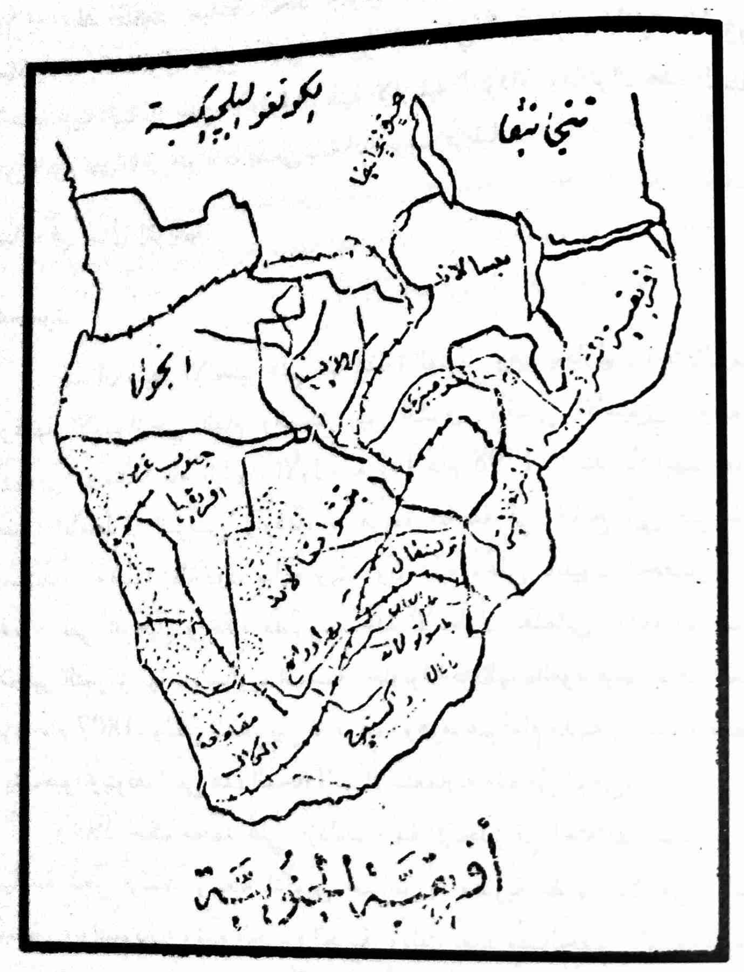
وصل التجار والمبشرون المسيحيون الإنجليز على نياسلاند عام 1876، واستقروا على الضفة الشرقية لنهر شير، رافد الزامبيزي. ثم توسعوا شمالاً إلى جنوب غرب بحيرة نياسا، وإلى شواطئها الشمالية حيث اصطدموا بنشاط المستعمرين الألمان في طانجانيقا، والمستعمرين البرتغاليين في موزمبيق.

وبعد أن ركز البريطانيون مركزهم في نياسلاند، أعلنوا عن ضمها إلى بريطانيا كمحمية. واحتفظت شركة جنوب إفريقيا البريطانية بروديسيا الجنوبية تحت سيطرتها حتى عام 1923، ثم حولت إلى مستعمرة ذات حكم ذاتي داخلي وضمت إليها روديسيا الشمالية، أو مملكة النحاس، بعد أن وحدت أجزاؤها في العام الموالي وظهر إلى الوجود: اتحاد روديسيا ونياسلاند، ومكنت الأقلية العنصرية البيضاء من التحكم في شعوبها الإفريقية، واستغلال خيراتها وثرواتها المعدنية والزراعية والرعوية.

البغاء الرسمي والسياسة العنصرية:

وقد حاول البريطانيون أن يربطوا مستعمراتهم الجنوبية بشمال القارة وذلك بإنشاء خط حديدي بين القاهرة، ومدينة الكاب، ولكن استعمار الألمان لطنجانيقا في إقليم البحيرات الاستوائية، حطم أملهم هذا وحال دون تحقيقه.

وكان من أقذر الأعمال والجرائم الوحشية البشعة التي ارتكبها البريطانيون في روديسيا، فرضهم على الأفارقة، البغاء الرسمي، وحشد النساء الإفريقيات إلى مناجم التعدين للترفية على المستعمرين والتنفيس على شهواتهم الحيوانية البهائمية. وتشجيعهم هجرة الأيدي العاملة الإفريقية الرخيصة إلى مناطق التعدين التي يستغل منها الحديد، والذهب، والنحاس، والفحم وغيره.



الاستعمار الانجليزي في جنوب قارة افريقيا

وقد قامت سياسة اتحاد جنوب إفريقيا العنصري، واتحاد روديسيا ونياسيلاند العنصري على تطبيق التمييز العنصري، وسيطرة الأقلية الأوروبية الاستعمارية البيضاء على الأغلبية الوطنية الإفريقية السوداء. وما تزال هذه السياسة حتى اليوم مطبقة في دولة ما يسمى باتحاد جنوب إفريقيا.

ثانيا- في شمال إفريقيا:

مصـــر:

منذ أن سيطر الإنجليز على شبه القارة الهندية. وهم يحاولون احتلال مصر لموقعها الاستراتيجي الهام والممتاز بين الشرق الأقصى الآسيوي، والغرب الأوروبي. وعندما قام نابليون الأول، بغزوها عام 1798، اشتد تكالبهم عليها، فتعقبوا الأسطول الفرنسي وأوقعوا به هزيمة ساحقة في خليج أبي قير غرب الإسكندرية وظلوا يطاردون بقاياه ويشددون عليه وعلى نابليون الحصار، حتى أرغموه على الرحيل وإخلاء مصر بمساعدة الأسطول العثماني. ولما لم يستطع الإنجليز التمركز بها بالأساليب السليمة، حاولوا احتلالها بالقوة فيما عرف بحملة فريزر عام 1807، ولكن المصريين قاوموهم، وهزموهم أمام مدينة رشيد، فاضطروا أن ينسحبوا ويتوقفوا عن هذه المحاولات الاستعمارية مدة من الزمن.

وخلال حكم محمد علي، ازدادت رغبة الإنجليز في احتلالها، بسبب ميوله السياسية نحو فرنسا، وسعيه لتكوين إمبراطورية مصرية تضم كلا من: الشام، وفلسطين، والسودان، وشبه الجزيرة العربية. وذلك يهدد مصالحهم الاستعمارية في المحيط الهندي ومنطقة الخليج العربي.

ومن أجل ذلك شارك أسطولهم في تحطيم الأسطول المصري باليونان وقاموا باحتلال عدن عام 1839 وجروا الدول الأوروبية الكبرى آنذاك، إلى المشاركة في تحطيم كبرياء محمد علي بمقتضى معاهدة لندن الأولى عام 1840 والثانية في العام الذي تلاه. وتضاعف شعورهم بأهمية موقع مصر الجغرافي بعد حفر قناة السويس فأخذوا يوفرون الظروف المناسبة لاحتلالها.

فاشتركت بريطانيا مع غيرها في إضعاف ماليتها، ثم اشترت أسهمها من شركة قناة السويس عام 1876، وبعد ذلك أنزلت بها جيوشها عام 1886 أثناء ثورة أحمد عرابي بدعوى الدفاع عن الخديوي وعرشه وحماية الأقليات الأوروبية وامتيازاتها وحفظ الأمن والنظام في البلاد وما كادت هذه القوات العسكرية البريطانية تضع أقدامها في مصر حتى تشبثت بها وأصرت على الاحتفاظ بها رغم الوعود التي قطعتها بريطانيا على الجلاء عنها عندما يعود الأمن إلى نصابه، وبقيت تحتلها حتى ثورة جويلية الناصرية عام 1952م.

بين مصر ومستعمرة الرأس:

بعد أن احتل الإنجليز مصر، دبروا مؤامرة إخلاء السودان، وإعادة فتحه من جديد، وأرغموا مصر على توقيع اتفاقية الحكم الثنائي عام 1899. وفي نفس الوقت احتلوا أجزاء من الصومال، وكينيا، وأوغندا، وأرسلوا حملاتهم العسكرية إلى منابع النيل الأعلى في محاولة لربط مستعمراتهم الجنوبية بالشمال.

قبرص ومالطة وجبل طارق:

اغتنمت بريطانيا حروب الوراثة النمساوية، وقامت باحتلال جبل طارق عام 1704، بعد أن اكتشفت أهميته الاستراتيجية كقاعدة عسكرية تتحكم في البوابة الغربية للبحر المتوسط. وبعد ذلك أحلت جزيرة مالطة لنفس الأسباب جنوب صقلية وشمال ليبيا، وتسلمت جزيرة قبرص من الدولة العثمانية عام 1878. وبذلك أحكمت سيطرتها على كل منافذ البحر المتوسط، وجزره الاستراتيجية وضمنت لأسطولها البحري العسكري والتجاري مواصلات آمنة، بين أوروبا والهند، والشرق الأقصى.

ثالثا- في غرب إفريقيا:

وصل المغامرون الإنجليز إلى سواحل غرب إفريقيا منذ القرن السابع عشر وأنشأوا لأنفسهم عدة مراكز تجارية، واكتفوا في البداية بالتمركز على المناطق

الساحلية بينما كان الفرنسيون يتغلغلون إلى الداخل. وبمرور الزمن حدث احتكاك بين الطرفين في نيجيريا، وتشاد، وفي إفريقيا الوسطى الاستوائية. وفي النهاية تمكن البريطانيون من الاستقرار في بعض الجيوب واستعمروها، ويتمثل ذلك في ساحل الذهب (غانا) وغامبيا وسيراليون، ونيجيريا أو مستعمرة الزيت، وبعد الحرب العالمية الأولى افتكوا من ألمانيا قسما من الكاميرون، والطووقو، بمقتضى نظام الوصاية.

نيجيريـــــا:

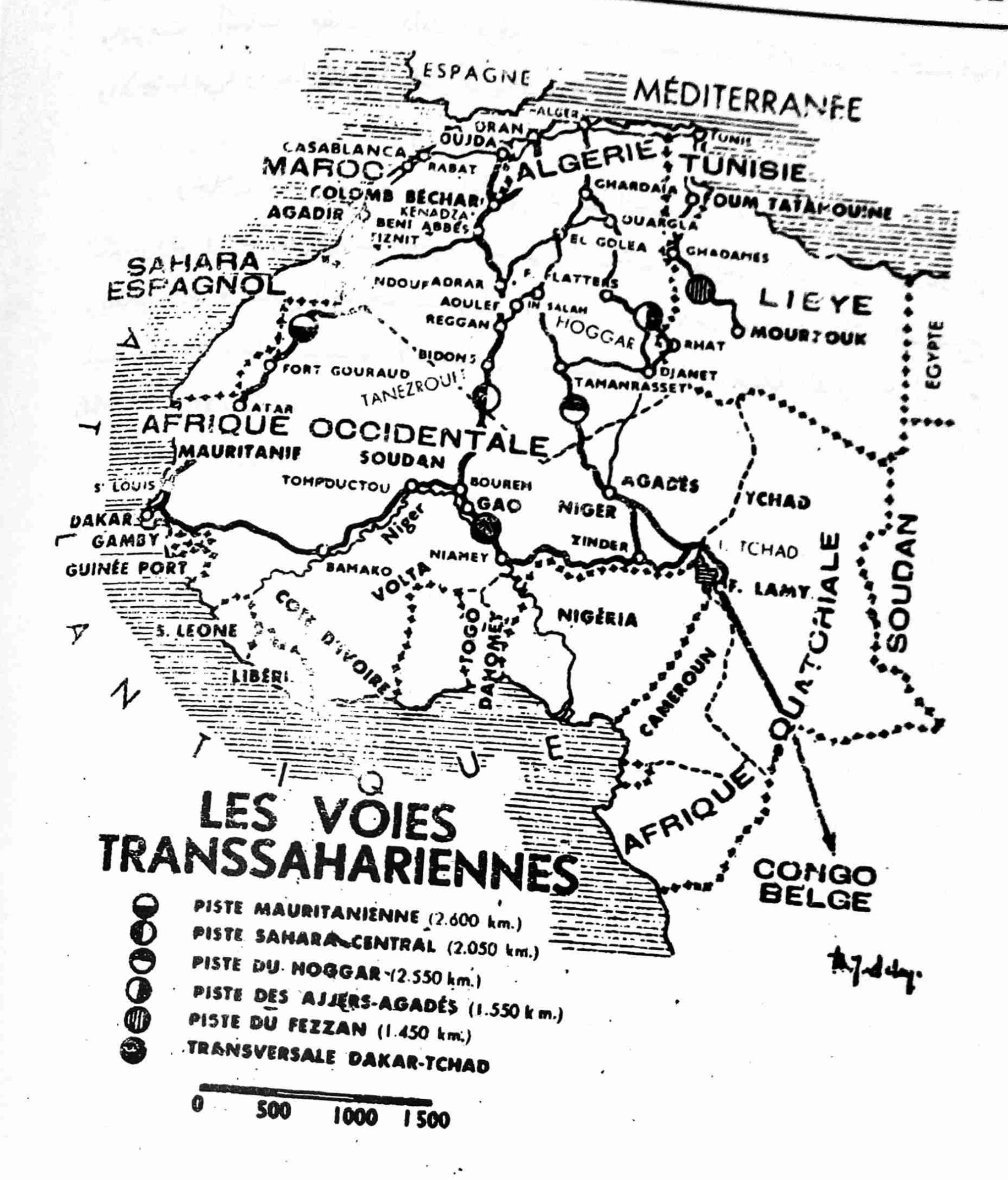
بدأت صلة الإنجليز منذ عام 1790 عندما قدم إليها المغامر الإنجليزي مونقوبارك، بدعوى الاستكشاف والتعرف على حوض النيجر، ومن بعده أخذ المغامرون الإنجليز يقيمون مراكز استعمارية لهم في المدن والمواني الساحلية النيجيرية وتزاحمت الشركات البريطانية على استعمارها، واستغلال إمكانياتها الاقتصادية الضخمة فاحتفظت شركة النيجر الملكية بالشمال النيجيري، وسيطرت على معظم أجزائه، ولعب الضابط لوجارد، دورا بارزا في احتلال نيجيريا عسكريا، وأعلنت بريطانيا عن استعمار جنوب نيجيريا بعد مؤتمر برلين عام 1884، وفرضت حمايتها على الشمال وألفت ما عرف بمحمية أنهار الزيت. ومحمية ساحل النيجر، ثم أدمجتهما عام 1914 وكونت منهما ما عرف بمحمية نيجيريا. وقسمتها إلى ثلاثة أقاليم إدارية رئيسية. شرقية، وشمالية وغربية.

الكاميـــرون:

كان البرتغاليون أول من نزلوا بالكاميرون للإتجار بالرقيق، ومن بعدهم جاء الهولنديون ثم الإنجليز، وكانت مصالح البريطانيين في البداية تجارية، وفي عام 1883 أرسلت بريطانيا مبعوثا لمفاوضة زعماء القبائل. والاتفاق معهم على إدماج بلادهم في الإمبراطورية البريطانية. ولكن قبل وصول هؤلاء المبعوثين بخمسة أيام فقط على ما قيل، توصل المغامرون الألمان إلى إبرام اتفاق سري معهم يوم 12 جويلية 1884 نص على فرض الحماية الألمانية على بلادهم لمدة ثلاثين عاما،

والتزمت ألمانيا مقابل ذلك برفع مستوى سكان الكاميرون الاقتصادية، والاجتماعي، وربما الثقافية، قبل أن يحصلوا على استقلالهم السياسي.

وخلال الحرب العالمية الأولى غزت الجيوش الفرنسية والبريطانية بلاد الكاميرون واحتلت فرنسا الجزء الشرقي المتاخم لإفريقيا الاستوائية. واحتلت بريطانيا الجزء الثاني المتاخم لنيجريا، وأقرت عصبة الأمم هذا الاحتلال المزدوج للبلد الواحد وهذا التقسيم الاستعماري بمقتضى قانون الوصاية الذي تحول عام 1946 إلى الانتداب.



اهتمام الاوروبيين بطرق القوافل لغزو أعماق القارة الافريقية

رابعا– في شرق إفريقيا:

اهتمت بريطانيا بشرق إفريقيا لتحكمه في مدخل البحر الأحمر الجنوبي أو باب المندب، ولرغبتها في ربط مستعمراتها الشمالية والجنوبية بالقارة كما لاحظنا ذلك سابقا. ونشطت في التوسع، والاستعمار حتى سيطرت على كينيا، وأوغندا، وأجزاء من الصومال، وزنجبار، ثم تنجانيقا.

الصومال:

في عام 1884 قامت قوات مصرية وبريطانية مشتركة باحتلال مدن: زيلع، وبربرة، واغتنمت بريطانيا الفرصة، وعقدت عدة اتفاقات مع مشايخ المنطقة وأعلنت حمايتها على جزء من الصومال عام 1887، وقاوم الصوماليون هذا الاحتلال البريطاني لبلادهم سنوات طويلة بزعامة المقاوم البطل محمد بن عبد الله.

كينيا وأوغندا:

اهتمت بريطانيا بأمر كينيا وأوغندا بعد ظهور النشاط الاستعماري الألماني لشرق إفريقيا، وتوغل المغامر الإنجليزي هاري جونستون، في منطقة كلمانجارو الجبلية، وإبرام عدة اتفاقات مع زعماء القبائل سلمها بدوره إلى فريق من تجار مانشستر الذين قاموا بتأسيس شركة إفريقيا الشرقية البريطانية للاستغلال والاستعمار.

وبسبب تعارض أطماع كل من إنجلترا، وألمانيا، وفرنسا، في المنطقة تألفت لجنة مشتركة، بريطانية، وألمانية، وقررت عام 1886 ترك جزر زنجبار وبمبا، والشريط الساحلي لطنجنياقا المواجهة لهما، على طول 300ميلا، وعرض عشرة أميال لسلطان زنجبار، وتقسيم المناطق الداخلية لطنجنياقا إلى قسمين: شمالي تحتله بريطانيا وجنوبي تحتله ألمانيا، على أن تطلق يد فرنسا في مدغشقر.

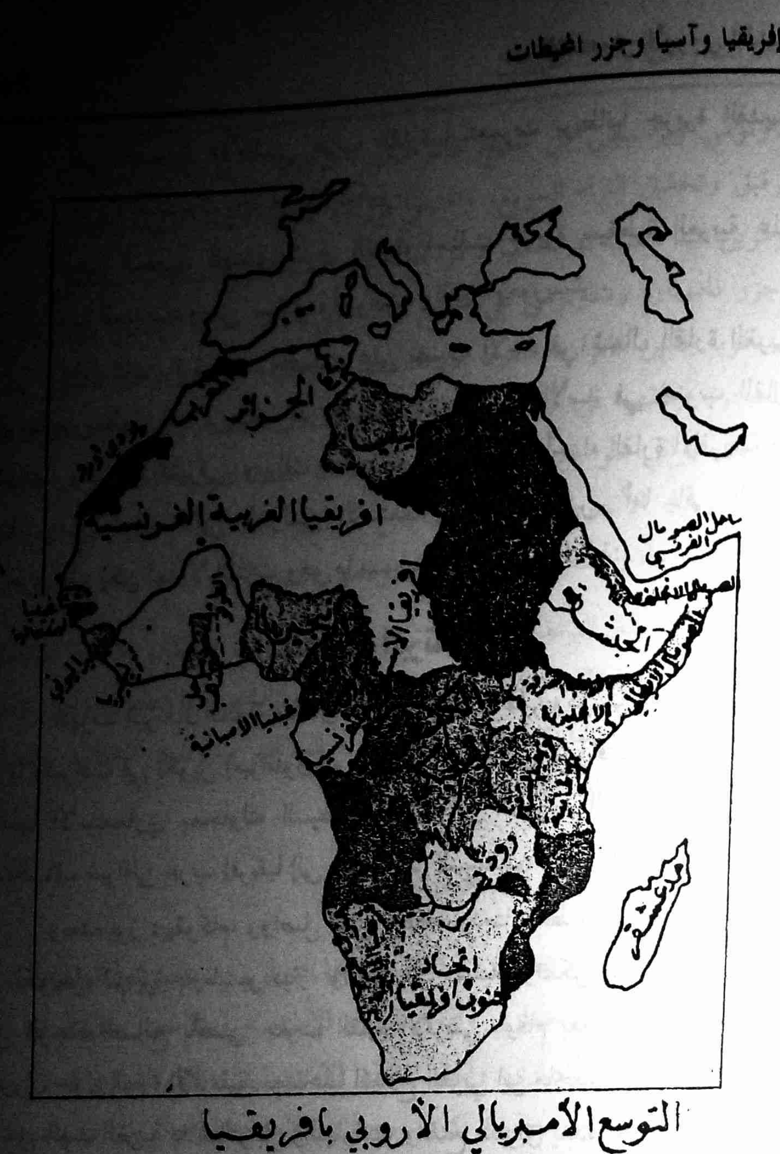
ولكن هذا الاتفاق لم يرض الدولتين. لأن بريطانيا كانت ترى في ذلك حاجزا وعقبة أمام مد الخط الحديدي بين القاهرة والكاب، هذا إلى جانب

المستقبل الغامض لوجودها الاستعماري في شرق القارة إذا ما سمح للألمان بالتوغل. ولذلك دخلتا في مفاوضات جديدة. توصلتا في النهاية إلى إبرام معاهدة نصت على حصول ألمانيا على جزيرة هيلو جولاند، وتنازلها لبريطانيا على دعاويها في أوغندا وزنجبار، وبمبا، ومنطقة ويتو، على الساحل الشرقي لإفريقيا، وعلى نياسلاند. فاغتنمت بريطانيا فرصة هذا الاتفاق وأسرعت إلى إعلان حمايتها على كل تلك المناطق عام 1895، وأخذ الضابط لوجارد يتوسع في المنطقة لصالح شركة إفريقيا الشرقية البريطانية، كما أخذت الإرساليات المسيحية التبشرية البريطانية تفد إليها لمقاومة الإسلام. وتنصير المسلمين، ونشر المسيحية. وحاولت فرنسا أن تشارك في هذا النشاط التبشيري، فشجعت الإرساليات والجمعيات الكاثوليكية في الجزائر، على الذهاب إلى هناك. وأدى الأمر إلى قيام صراع ديني مذهبي حاد بين البروتستانت والكاثوليك، في المنطقة.

وفي نفس الفترة كان المغامر الإنجليز سبيك يتوسع في أوغندا منذ عام 1892، وتوالت من بعده الإرساليات والبعثات التبشيرية على المنطقة، وقامت بريطانيا بإعلان حمايتها عليها عام 1894، وعلى باقي المناطق الداخلية الأخرى في العام الموالي، كرد فعل للنشاط الألماني المتجدد في طنجنياقا وتمكنت من إيصال نفوذها وسيطرتها إلى بحيرة فيكتوريا، وأخضعت ذلك لوزارة المستعمرات ثم حولت إلى مستعمرة للتاج البريطاني وتنازلت بريطانيا فيما بعد لإيطاليا عن جزء من أوغندا، دون رضا أهلها وسكانها، دون استشارتهم، وتم ذلك عام 1924، بعد الحرب العالمية الأولى كترضية، ولكن على حساب الشعب الأوغندي الإفريقي.

خامسا- جزر المحيطين الهندي والأطلسي:

وزيادة على هذه المناطق والأقاليم الواسعة في القارة الإفريقية، استعمرت بريطانيا عددا من الجزر والأرخبيلات في شرقها وغربها في إطار استراتيجياتها الاستعمارية الواسعة.



التوسع الأمبريالي الأوروبي بافريقيا

ففي المحيط الأطلسي غرب القارة استعمرت بريطانيا جزيرة القديسة هيلانة وجزيرة أسنسيون بخليج غانة الكبير.

وفي المحيط الهندي شرق القارة، احتلت جزيرة سيقطرة العربية على مدخل باب المندب، وجزر سيشل وأميرانت، والديرا وموريسش.

وإذا كانت فرنسا قد حصلت على نصيب الأسد في شمال القارة الغربي وغربها ووسطها، فإن بريطانيا قد حصلت على نصيب الأسد في جنوب القارة وشرقها، وشمالها الشرقي. وبذلك يمكن القول بأن معظم أجزاء القارة الإفريقية قد احتلت من طرف هاتين الدولتين الاستعماريتين المتنافستين. أما باقي الدول الأخرى فلم يكن لها إلا الفتات وهو ما سنوضحه في الفقرة التالية:

الاستعمار البرتغالي

ظهرت البرتغال كدولة منذ أوائل القرن الثالث عشر وكونت لنفسها أسطولا بحريا وشرعت في تكوين إمبراطورية واسعة لها خارج أوروبا، وافتتح هنري الملاح نشاطها الاستعماري بمحاولته السيطرة على موانئ المغرب الأقصى الأطلسية، واستكشاف شواطئ غرب إفريقيا إلى مصب نهر السينيغال، وجزر الرأس الأخضر.

وبعده برز ديبقوكام، وواصل نفس خططه، واجتاز خط الاستواء إلى مصب نهر الكونغو، ثم برز بارتليميو دياز، واقتفى أثر سابقيه، وتمكن من الوصول إلى رأس الرجاء الصالح بأقصى جنوب القارة الإفريقي. وقام بعده فاسكو داجاما، بالدوران حول القارة الإفريقية، بمساعدة الملاح العربي ابن ماجد، الذي أوصله إلى سواحل الهند الغربية بلاد التوابل والبهارات، وانفتح الطريق بعده لكل من الفريد، كابرال، وفرانسو دالميدا وألفونسو البوكيرك، ليركزوا نفوذ البرتغال الاستعماري في الهند، والشرق الأقصى.

الإتجار بالرقيق:

ومنذ أن نزل البرتغاليون في غينيا بيساو، أقدم مستعمراتهم بإفريقيا وهم يمارسون تجارة الرقيق، بكل وحشية، ونذالة. ثم لما اكتشفوا واحتلوا جزر

ساوتومي وبرانسيبي في خليج غانة الكبير، توافدوا إليها بكثرة لممارسة تجارة الرقيق وتحقيق الثراء السريع، واهتموا بزراعة قصب السكر فيها، واتخذوا مدينة أرغوين عند مصب نهر غامبيا مركزا لنشاطهم الاستعماري. وحولوا سواحل نيجيريا وجزر نادوناو، وساوتومي في خليج بيافرا إلى مستودعات للإتجار بأبناء إفريقيا المنكوبة الذين كانوا يختطفون من المناطق الداخلية، ويشحنون قسرا، إلى العمل بالسخرة، والقهر، في مزارع القطن، ومناجم الذهب، الفضة بالقارة الأمريكية. كما تحولت موانئ سواحل غانة الواسعة إلى مراكز مهمة لتجارة الذهب، التي كانت تأتي به مياه الأنهار ضمن رواسبها من المناطق الداخلية، وكونوا في كل هذه المناطق قلاعا، وحصونا، منيعة لتقوية نفوذهم واستعمارهم.

وقد بالغ البرتغاليون في ارتكاب الجرائم ضد السكان الأفارقة فاتخذوا محضيات إفريقية لإشباع شهواتهم البهيمية. وعذبوا الشيوخ والأطفال. وحتى رجال الدين المسيحي، شاركوا في ارتكاب هذه الجرائم ومارسوا الخطف والسلب واعتدوا على حرمات النساء باسم المسيحية.

ضعف مركز البرتغال الاستعماري:

لم تستطع البرتغال أن تحتفظ بمركزها الدولي، ومستعمراتها الواسعة بسبب اشتداد التنافس الاستعماري وتفوق الدول الاستعمارية الأخرى عليها، فضعفت وتحطم احتكارها التجاري، وانهار نشاطها الاستعماري خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر وفقدت معظم مراكزها ومحطاتها الاستعمارية، ولم يبق لها بعد مؤتمر برلين عام 1884 سوى موزمبيق في شرق القارة، وأنجولا، وكبندا، وغينيا بيساو، وجزر الرأس الأخضر، وساوتومي وبرانسيبي، وماديران والأزور، وأثور، في غرب القارة.

جزيرة اسانسيون 1815

ليبيا

أنغولا

مدينة الرأس

■ ممتلكات فرنسية قبل 1870
ممتلكات بريطانية قبل 1870
محاور رئيسية للتغلغل
← الفرنسي
← الألماني
البريطاني
ليبيريا، دولة افريقية

تقسيم إفريقيا الى مناطق نفوذ استعمارية

أنجولا:

بعد أن فشل البرتغاليون في التغلغل إلى أعماق حوض الكونغو بسبب مقاومة الأهالي لهم، نقلوا نشاطهم إلى أنجولا بجنوب غرب إفريقيا، وأطلقوا عليها اسم الأم السوداء. وكان نشاطهم فيها حتى عام 1870 يقتصر على إنشاء قواعد ساحلية. لممارسة التجارة وبيع الرقيق، مثل: لواندا، وبنجويلا، وكابندا، ثم لما اشتد التنافس الاستعماري على إفريقيا، أخذت البرتغال تتوسع على الداخل حتى سيطرت على كل أنجولا الحالية واعترف لها مؤتمر برلين بحق السيطرة عليها.

موزمبيق:

وفي نفس الوقت الذي كان فيه البرتغاليون يتوسعون في غرب إفريقيا امتد نشاطهم إلى شرق القارة كذلك فأنشأ دياز مركزا بصوفالا لتجميع كميات الذهب المجلوبة من الداخل، ولمطاردة السفن الإسلامية، وتركيز نفوذهم هناك. وفي ممباسة وكيليو وغيرهما. وفعل مثله دالميدا، وحاول أن ينشئ حصونا ومراكز عسكرية للقوات العسكرية البرتغالية، ولكنه فشل بسبب تفوق الأساطيل الإسلامية وظهور الإنجليز والهولنديين كذلك.

ولذلك ركز البرتغاليون على موزمبيق، وسخروا كل إمكانياتهم لاحتلالها وجعلوا رأس دلجادو حدا فاصلا بين مناطق نفوذهم ونفوذ الأساطيل الإسلامية.

واتخذوا موزمبيق مركزا رئيسيا لنشاطهم الاستعماري شرق إفريقيا، وأنشأوا أسواقا، ووكالات لتنشيط تجارة الذهب في مدن: تيت، وكيليمان، وسينا، واستعملوا وسائل الضغط والإرهاب، لإرغام السكان على قبول استعمارهم، واستعانوا بالمشرعين المسيحيين في حركة التوسع، والحصول على المعادن الثمينة وحاولوا أن يوصلوا موزمبيق بأنجولا، برا، ولكن الإنجليز حالوا دون ذلك باحتلالهم واستعماريهم لنياسلاند (ملاوي الحالية) وزامبيا، (روديسيا سابقا).

الرأسمالية البرتغالية في موزمبيق:

ولكي تحكم البرتغال سيطرتها على موزمبيق وتشدد قبضتها عليها شجعت قيام الشركات الرأسمالية الكبيرة. لاستغلال إمكانياتها الهائلة، المعدنية، والزراعية والبشرية ومن هذه الشركات نياسا، وشركة موزمبيق، اللتن أسستا عام 1891، وسيطرتا على أكثر من ثلثي البلاد، من بحيرة نياسا شمال نهر زامبيزي، حتى خط عرض 22. أما المناطق الجنوبية دون هذا الخط فقد أخضعت للحاكم العام البرتغالي الذي يتخذ مركزه في ميناء لورنز وماركيز ويخضع بدوره لنائب الملك البرتغالي بالجيوب الهندية، وبقي الوضع هكذا حتى عام 1929 ثم أخضعت البرتغال كل موزمبيق إلى سلطتها المباشرة، ومارست سياسة الزجر، والإرهاب، إلى أن تحقق تحريرها عام 1974.

الاستعمار الإسباني

كانت إسبانيا في أوائل عهد الكشوف الجغرافية قد انصرفت إلى تنفيذ مشاريعها الاستعمارية الكبرى في القارة الأمريكية. ولكنها بمرور الزمن ضعفت هي الأخرى، وانهارت، وخسرت كل مستعمراتها هناك بسبب الثورات الأهلية، الوطنية كما خسرت جزر الفلبين، وكوبا، وبورتوريكو، أثناء حروبها مع الولايات المتحدة الأمريكية عام 1898. ومن أجل ذلك اتجهت هي الأخرى إلى إفريقيا، واستعمرت مناطق صغيرة أهمها: سبتة، ومليلية، وإقليم الريف المغربين إيفني، وصحراء الساقية الحمراء ووادي الذهب، وغينيا الاستوائية، وجزر الكناري، وفرناندوبو، ورانوبون، وكلها شمال وغرب إفريقيا.

سبتة ومليلية وجزر زافاريناس:

كانت مدينة سبتة قد وقعت في أيدي البرتغاليين منذ عهد هنري الملاح عام 1415 وبعد أن ضمت البرتغال إلى العرش الإسباني عام 1530، تحولت السيادة عليها إلى إسباني، وكافح المغاربة طويلا من أجل استرجاعها، دون جدوى، وفي عام 1860، حصلت إسبانيا من سلطان المغرب على حق توسيع حدودها إلى

الداخل ونفذ ذلك فتوسعت المساحة المستعمرة.

أما مدينة مليلية فقد استولى عليها الإسبان عام 1497، بعد أن [illegible] احتلال وهران والمرسى الكبير، ووسعوا حدودها عام 1909، بمقتضى اتفاق بين إسبانيا وسلطان المغرب، واتخذت إسبانيا هاتين المدينتين مركزين للاعتداء على بلدان المغرب ولنفي المجرمين الإسبان، وغير المرغوب في إقامتهم بإسبانيا إليهما.

وإلى شرق مدينة مليلية تستعمر إسبانيا جزر زافاريناس الثلاثة، وجزيرتي الحسيمة، وجوميرا.

إقليم الريف المغربي:

كانت إسبانيا من ضمن الدول الأوروبية التي تنافست وتصارعت على احتلال المغرب الأقصى، إبان ما سمي المسألة المراكشية من عام 1902 إلى 1912م. وتوصلت مع فرنسا عام 1904 إلى اتفاق يقضي بتقسيم المملكة المغربية على منطقتي نفوذ بينهما. وعندما احتلت فرنسا المغرب وأعلنت حمايتها عليه يوم 30 مارس 1912، طالبت إسبانيا بتنفيذ الاتفاق السابق، وأعطيت بمقتضاه إقليم الريف الشمالي المغربي إرضاء لها مع احتفاظ السلطان نظريا، وقانونيا بالسيادة الشرعية، ووحدة التراب المغربي.

سيدي إيفني، والساقية الحمراء ووادي الذهب:

حصلت إسبانيا على منطقة سيدي إيفني عام 1860 بمقتضى اتفاقية توسيع حدود مدينة سبتة، أما الصحراء الغربية: الساقية الحمراء، ووادي الذهب، فقد بدأت تتوسع فيهما منذ القرن التاسع عشر، بكيفية بطيئة، نظرا لتفوق الفرنسيين عليها. وفي الأخير تمكنت من السيطرة عليهما، وعلى إقليم طرفاية، وأخضعتهم لإدارة واحدة وحاكم عسكري واحد يقيم في مدينة إيفني حتى عام 1958، ثم فصلت إيفني، وحولت القيادة العسكرية العليا، على قائد جزر الكناري (جزر الخالدات).

غينيا الاستوائية، وجزر خليج غانة:

وفي خليج غانة استعمرت إسبانيا منطقة غينيا الاستوائية شمال أنجولا، وجزر فيرناندبو، وأنبون، إلى جانب جزر الخالدات، في مواجهة صحراء الساقية الحمراء ووادي الذهب في الشمال الغربي.

الاستعمار البلجيكي

تعتبر قصة استعمار بلجيكا للكونغو الإفريقي من أبرز الأمثلة والنماذج على خداع الأوروبيين وتنكرهم لكل القيم الإنسانية، كما تعتبر قصة السمسرة التي حصلت بين ملك بلجيكا، ودول أوروبا الاستعمارية والمغامرين الأوروبيين فريدة وعجيبة ومخزية.

فقد قام المغامر الإنجليزي المرتزق هنري موثون ستانلي بعدة رحلات إلى دواخل حوض الكونغو، وألف كتابا سماه: داخل القارة السوداء، أوضح فيه أهمية هذه المنطقة ودعا إلى استعمارها، فأعجب ملك بلجيكا بالفكرة، وتظاهر برغبته في تحسين أحوال الأفارقة، ودعا إلى تأليف الرابطة الإفريقية الدولية عام 1876، من شخصيات دولية كثيرة بحجة خدمة أغراض إنسانية، وأرسل ستانلي باسم الرابطة إلى الكونغو مرة أخرى عام 1879، فاقتحم مصب نهر الكونغو بأسطول ضخم، وعبر جنادله، وشلالاته وأبرم عدة اتفاقات مع زعماء القبائل تحت ستار المحبة، والسلام وبواسطة هدايا تافهة كالملابس والمناديل. والعقود، وعلب الخمور وأقام أول مركز بلجيكي في ميناء فيفي قبالة مدينة ماتادى. ونظم مواصلات بخارية بين مركز باما، وشلالات ستانلي على بعد 1600 ميلا من مدينة كينشازا الحالية.

وقد استطاع ستانلي بهذا الأسلوب أن يحصل عام 1882 على أكثر من 900 ألف ميل مربع، من أراضي الكونغو. رفعت عليها أعلام بلجيكا باسم شركة الكونغو العالمية. وترددت فرنسا وبريطانيا في الاعتراف بسيادة بلجيكا عليها أول الأمر. ولكن اعتراف الولايات المتحدة بذلك جعلهما يقطعان حبل التردد ويعترفان بالأمر الواقع بفضل مساعي ستانلي.

وعندئذ ظهر ليوبولد الثاني ملك بلجيكا على حقيقته، فأعلن عن تأليف دولة الكونغو الحرة، وتوج نفسه عام 1886 ملكا على بلجيكا، والكونغو، وأدار هذه المستعمرة الجديدة، لمصلحته الشخصية كضيعة خاصة له، وسلك على شعب الكونغو كل أنواع الإذلال، والقهر، والاستبعاد، وحرمه من كل مظاهر المدينة، ولم يتردد في إعدام الآلاف منه، وحصل على ملايين الجنيهات لحسابه الخاص، فأكسبه ذلك سمعة سيئة واضطر إلى التنازل عن إدارة الكونغو إلى الحكومة البلجيكية عام 1908، لتمارس هي الأخرى نفس الأسلوب، والسياسة الاستعمارية. وتواصل الاستغلال بشكل أكثر جزما. وعنفا، وبشاعة وخبثا وقساوة لكل الإمكانيات الاقتصادية والبشرية حتى حصوله على الاستقلال عام 1960.

وإلى جانب الكونغو، حصلت بلجيكا بعد الحرب العالمية الأولى على إعادة إقليمي رواندا وبورندي الذين انتزعهما الحلفاء من ألمانيا. فمارست فيهما سياستها الاستعمارية إلى أن تم تحريرهما خلال الستينات بعد استقلال الكونغو.

الاستعمار الألماني

دخلت ألمانيا إلى ميدان الاستعمار متأخرة بعد عام 1870، بسبب انشغالها قبل ذلك بإتمام وحدتها القومية بألمانيا، وفي بداية عهد حكم بيسمارك لم تكن تتحمس للتوسع الاستعماري ولكن الشركات الرأسمالية التجارية والصناعية ضغطت على الساسة الألمان، وأرغمت حكومتهم على تغيير سياستها، والدخول إلى ميدان المنافس الاستعمارية. ومن ضمن هذه الشركات: شركة أسوالد وجمعية الاستعمار الألماني. فنشطت الدعوة فيها إلى الاستعمار، واندفع بيسمارك وراء هذه السياسة والدعوة الجديدة، وسلك نفس الأسلوب والسياسة التي اتبعتها بلجيكا، وتركز نشاط ألمانيا في أجزاء محدودة في شرق القارة وغربها.

في غرب إفريقيا:

في عام 1882 وصل أحد التجار الألمان إلى جنوب غرب إفريقيا، وحصل من زعماء القبائل على مكان لإنشاء مستعمرة له تخدم أغراضا تجارية، فأعلنت

ألمانيا بعد ذلك حمايتها على المنطقة كلها. وأطلقت عليها اسم: إفريقيا الجنوبية الغربية الألمانية وقام المستعمرون الألمان بقتل حوالي 74 ألف إفريقي عام 1887 بعد الثورة التي قامت ضدهم، وفي نفس الوقت قام الألمان باحتلال مستعمرتين أخريتين هما: توجولاند، (الطوغو) والكاميرون على ساحل غانا، بنفس الأسلوب، ولكن دون أن يكلفوا أنفسهم مشقة حشد قوات عسكرية تذكر. وإنما بوسائل المكر والخداع ومارسوا في هذه المستعمرات الإفريقية سياسة الاستغلال والقهر، والإذلال للسكان الأفارقة.

في شرق إفريقيا:

وفي شرق إفريقيا، أرسلت إحدى المؤسسات التجارية الألمانية، بعثة سرية عام 1884 برئاسة المغامر المرتزق كارل بيترس (Carl Betrs) إلى الأراضي التابعة لسلطنة زنجبار، فتفاوض مع زعماء القبائل وأمضى معهم اثني عشر اتفاقا وضع بمقتضاها حوالي 140 ألف كلم مربع تحت حماية شركة إفريقيا الشرقية الألمانية التي كان هو رئيسها ومؤسسها.

ولم تلبث ألمانيا أن أعلنت حمايتها على هذا الإقليم في العام الموالي واحتجت بريطانيا على هذا النشاط، واعتبرته تهديدا لتوسعها الاستعماري في القارة. وكادت الحرب تنشب بينهما ثم توصلتا إلى اتفاق يقضي بالاعتراف لسلطان زنجبار بالسيادة على الجزيرة والشريط الساحلي المواجهة لها، وتقسيم المنطقة الداخلية بينهما: الشمال لبريطانيا والجنوب لألمانيا، وفي عام 1890 اتفقتا مرة أخرى على أن تحتل ألمانيا طنجنيقا، وتحتل إنجلترا زنجبار، ويسمح لفرنسا باحتلال مدغشقر كما أشرنا إلى ذلك سابقا.

وبذلك أسست ألمانيا مستعمراتها في طنجنيقا، ورواندا، وبوروندى، وشرعت في استغلال محصولاتها الزراعية، وثرواتها المعدنية والحيوانية لخدمة الاقتصاد الألماني، وأسست عدة مستوطنات للمعمرين الألمان، في الجنوب الغربي اهتموا بتربية المواشي وزراعة القطن، والكتان، والبن، وباستثمار الثورات المعدنية الأخرى.

محاولة التدخل في المسألة المراكشية:

وفي نفس الوقت حاولت ألمانيا أن تكون لنفسها مركزا قويا في شمال إفريقيا الغربي فتدخلت في الأزمة المراكشية واحتجت ضد الاتفاق الودي الثنائي بين فرنسا وإنجلترا دون علمها، وعلى حساب مصالحها الاستعمارية عام 1904، وأثارت أزمة أقادير عام 1911 لتحصل على فتات أو قطعة أرض بالمغرب، واضطرت فرنسا أن تسترضيها بقطعة أرض صغيرة في الكونغو مقابل تنازلها عن أطماعها بالمغرب، فقبلت، ولكن قيام الحرب العالمية الأولى حرمها من ذلك، وأضاع عليها كل مستعمراتها السابقة، التي وزعت بين فرنسا وبريطانيا وبلجيكا.

الاستعمار الإيطالي

دخلت إيطاليا ميدان الاستعمار متأخرة كذلك مثل ألمانيا، ولنفس الأسباب وكان ساستها شديدي الرغبة في بعث وإحياء الإمبراطورية الرومانية القديمة. وتمكنوا من احتلال واستعمار أجزاء من القارة شمالا وشرقا.

في شرق القارة:

بدأت إيطاليا تهتم بالحبشة والصومال، قبل إتمام وحدتها القومية. فوضع رئيس الجمعية الجغرافية الإيطالية تقريرا كبيرا عن المواد الطبيعية التي تزخر بها سواحل شرق إفريقيا الشمالي. وفي عام 1893 قام المغامر الإيطالي سابيتو، برحلة إلى البحر الأحمر كمبعوث لشركة روبو تينو الإيطالية وذلك لشراء واستئجار بعض المراكز والمواني الحرية فاستأجر مواني: عصب، وبنادر، من سلطان زنجبار لمدة خمسين عاما وتنازل له سلطان راحيتا عن جزر، ماهية، وأم بكر، وباع له أمير البيرهان شريطا ساحليا في المنطقة وبذلك توسعت المساحة التي حصل عليها وبلغت 630كلم مربعا لصالح الشركة التي أرسلته وقامت هي بتسليمها إلى الحكومة الإيطالية مقابل 25 ألف جنيه فحولتها إلى مستعمرة إيطالية، وفتحت لها اعتمادا خاصا في الميزانية العامة للدولة، واستغلتها في البداية كمحطات لتموين السفن التجارية الإيطالية، ثم استخدمتها في البداية كمحطات لتموين السفن

التجارية الإيطالية، ثم استخدمتها في أغراض التوسع الاستعماري في الصومال، والاعتداء على أريتريا، وأسمرة، والحبشة.

ففي عام 1905 تنازلت لها سلطنة زنجبار عن مواني: بنادر مقابل 144 ألف جنيه وفي عام 1908 منح لها إمبراطور الحبشة الأراضي الداخلية في منطقة بنادر، بموجب اتفاق بينهما.وفي عام 1924 تنازلت لها إنجلترا عن منطقة جوبا، وقاسمايو، التي كانت جزءا من كينيا، وفي عام 1935 استولت بالقوة على إقليم أوقادين، وبذلك وسعت مستعمراتها بالصومال.

احتلال الحبشة:

ومنذ أن نزلت إيطاليا بالصومال وهي تتربص الدوائر ببلاد الحبشة فحاولت غزوها عام 1895 وفشلت وتعرضت لكارثة في معركة عدوة. وعندما قام الحكم الفاشي في إيطاليا أقدم موسوليني على غزوها مرة أخرى عام 1935 وبقي يحتلها خمس سنوات كاملة إلى أن هزمت إيطاليا أقدم موسوليني على غزوها مرة أخرى عام 1935 وبقي يحتلها خمس سنوات كاملة إلى أن هزمت إيطاليا خلال الحرب العالمية الثانية، وأكرهت على التخلي عن كل مستعمراتها.

في شمال القارة:

كان وضع مستعمرات إيطاليا في شرق إفريقيا صعبا، بسبب صعوبة الوصول إليها ولذلك كانت تعمل وتفكر دائما في التوسع بغية تسهيل الطريق إليها. وكانت ليبيا تمثل همزة الوصل، فاهتمت بأمر احتلالها منذ أواخر القرن التاسع عشر. خاصة بعد أن ضاعت تونس منها وفازت بها فرنسا. فاغتنمت فرصة ضعف الدولة العثمانية. وموافقة فرنسا على فكرتها فأقدمت على غزوها عام 1911، واضطرت الدولة العثمانية أن تعترف رسميا بذلك الاحتلال في العام الموالي واستبسل الشعب الليبي في المقاومة بقيادة البطل عمر المختار ورفاقه، وارتكب الإيطاليون المستعمرون أبشع الجرائم، وأخسها، وأظهروا المزيد من الحقد، الضغينة والوحشية والتجبر، وبقيت ليبيا تحت الاستعمار الإيطالي الفاشي حتى

انهزمت إيطاليا في الحرب العالمية الثانية، فانتزعتها منه بريطانيا، واحتلت إقليمي: برقة وطرابلس، وسلمت لفرنسا إقليم فزان المجاور للجزائر وذلك من 1942 إلى 1952 تاريخ استقلال ليبيا.

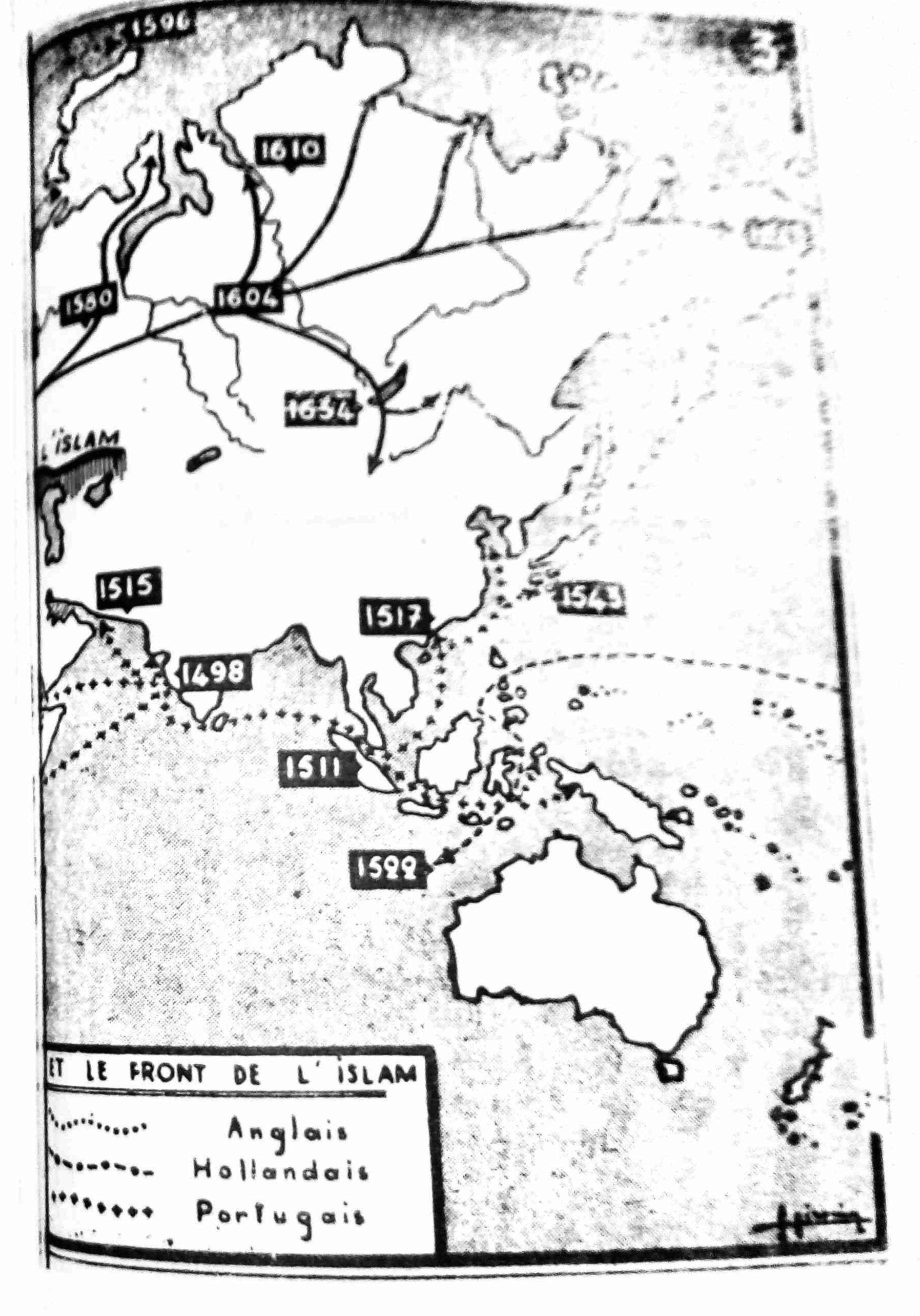
وهكذا كانت القارة الإفريقية مسرحا لغزو أوروبي مكثف طوال العصر الحديث وبخاصة في القرنين: التاسع عشر، ومطلع العشرين، عانت منه الشعوب الإفريقية معاناة شديدة وقاسية. وقسمت بلداتها ومزقت، وفق أهواء الساسة الأوروبيين، ومشيئتهم الاستعمارية الطاغية، واستغلت خيراتها الاقتصادية المتنوعة الوافرة شر استغلال ولم يوضع حدا لهذا الاستعمار العسكري والسياسي والاقتصادي إلا في مطلع النصف الثاني من هذا القرن.

خريطة افريقيا اليوم بعد تحررها

خريطة أفريقية (سياسية)

القسم الثالث

الاستعمار الحديث في آسيا وجزر وأرخبيلات المحيطات



خريطة الكشوف الجغرافية الأوروبية

لقارات آسيا، وأفريقيا وأمريكا

الاستعمار الإنجليزي في آسيا

في بلاد الهند:

في أواخر القرن السادس عشر، تدهورت أوضاع إمبراطورية المغول بالهند، بسبب ضعف حكام الولايات، وتصارعهم على السيطرة، والنفوذ، فاستغل الإنجليز والفرنسيون سقوطها عام 1707، فأخذوا يثبتون أقدامهم في الهند لحماية مصالحهم وتجارتهم، ودخلوا في صراع عنيف فيما بينهم انتهى بانسحاب الفرنسيين، ورسوخ أقدام الإنجليز فيها على أثر معاهدة باريس عام 1763م.

شركة الهند الشرقية: فخلا الجو لشركة الهند الشرقية الإنجليزية التي تأسست منذ عام 1599م وأخذت تبسط سلطانها ونفوذها هناك، وفي شرق آسيا، طوال مائتين وثمانية وخمسين عاما، بحجة التجارة، فأنشأت مراكز تجارية لها في مدارس، وبومباي، وكلكتا، وزحفت إلى أجزاء الهند المختلفة عن طريق المناورات السياسية، والرشاوى، وبالعنف والقوة، واهتمت بشؤون التجارة، وانصب اهتمام موظفيها، وحملة الأسهم فيها، على كسب المزيد من الأرباح دون مراعاة لمصلحة الأهالي، فانتشر الفساد، والسلب، والنهب، والرشوة لدرجة خطيرة، وخشيت الحكومة البريطانية من سوء العاقبة فاستصدرت عدة قوانين فيما بين أعوام 1773م 1784م، وضعت بمقتضاها أعمال الشركة تحت مراقبتها، واحتفظت بحق تعيين كبار موظفيها، ومع ذلك استمر الظلم، والفساد، والرشوة، وواصل الإنجليز احتقار عادات وتقاليد الأهالي الهنود، والذي اشتد سخطهم وغضبهم، وقاموا بثورة عنيفة عام 1858 ضد الحكم الإنجليزي، اشترك فيها المتطوعون الهنود الذين كانوا يكونون معظم أفراد جيش الشركة وبايعوا إمبراطور المغول زعيما عليهم، ولم يستطع الإنجليز إخماد هذه الثورة إلا بعد أن استعملوا أقسى وسائل العنف وأساليب الشدة.

تصفية شركة الهند الشرقية:

وكان لهذه الثورة تأثير كبير على الحكومة البريطانية فقامت بتصفية الشركة وإنهاء أعمالها، وأخضعت بلاد الهند إلى سلطتها المباشرة كمستعمرة، وأصبح لها وزير خاص يدعى وزير الهند، ولعب كل من روبرت كلايف (Robert Clife) ووارن هستنجر، دورا كبيرا في إنشاء هذه الإمبراطورية الهندية التي أصبحت تابعة للتاج البريطاني منذ عام 1877م وصارت ملكة بريطانيا تلقب نفسها باسم ملكة بريطانيا وإمبراطورية الهند، كما صار حاكمها العام يدعى نائب الملك.

أسلوب الاستعمار البريطاني في الهند:

وقد اتبع البريطانيون الأساليب الاستعمارية الدنيئة في استغلال البلاد لمصلحتهم ومصلحة بلادهم الخاصة، فضيقوا أفق التعليم وقصروه على العائلات الخاصة التي تتعاون معهم، وفرضوا اللغة الإنجليزية على السكان، وحاولوا خلق تفرقة بين أفراد الشعب الهندي المسلم والهندوسي غير أن كل ذلك لم يزد الهنود إلا إصرارا على المطالبة بالحكم الذاتي والاستقلال وظلت الروح القومية تتقد فيهم، وتزعم الطلاب، والأحزاب السياسية، حركة المقاومة السلمية، والثورة المسلحة، والمقاطعة الاقتصادية، ولعب كل من محمد على جناح المسلم والمهاتما غاندى الهندوسي دورا موجها وقياديا في جهاد الهند حتى اضطرت إنجلترا إلى الاعتراف باستقلالها عام 1947م وظهرت إلى الوجود جمهورية باكستان المسلمة، وجمهورية الهند الهندوسية.

في بورما- وفي الوقت الذي كانت فيه شركة الهند تتوسع في الهند، امتد نشاطها إلى بورما شرقا وأنشأت مركزا تجاريا لها بسير يام عام 1647، وأخذت تتحين الفرص للانقضاض على المملكة البورمية نفسها، واستطاعت خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر، أن تستولي على معظم أراضيها، وقام الحاكم العام الإنجليزي في الهند بغزو رانجون عام 1852 وضم بورما السفلى إلى إمبراطورية الهند، كما قامت حكومة الهند البريطانية بغزو بورما العليا والسيطرة عليها وضمها إلى إمبراطورية الهند كذلك بعد نفي ملكها وزوجته وحاشيته إلى الهند نفسها عام 1886 وذلك لمنع تركز النفوذ الأوروبي الآخر فيها.



التوسع الاستعماري بآسيا

التنافس الأوروبي الاستعماري على آسيا

في بلوخستان وأفغانستان:

كذلك امتد نفوذ الإنجليز إلى بلوخستان في غرب الهند واصطدموا بمصالح روسيا في إيران وأفغانستان، ورغبة الروس في الوصول إلى مياه الهند الدافئة ولم يمنعهم من السيطرة على هذين الإقليمين إلا خوفهم من نتائج الاصطدام الغير المأمون العواقب، ولذلك اتفقوا مع روسيا على جعل إيران وأفغانستان دولتين مستقلتين عازلتين للممتلكات البريطانية عن الأراضي الروسية.

في الملايو وسنغافورة:

كذلك من الهند امتد نفوذ البريطانيين إلى الملايو وسنغافورة وجزر الشرق الأقصى، فقامت شركة الهند بإنشاء أول مركز تجاري لها في جزيرة بينانج التي تنازل لها عنها سلطان كبدة عام 1782 بالإيجار، ومن هذه الجزيرة أخذ البريطانيون يتوسعون في شبه جزيرة الملايو، وسيطرت شركة الهند على شريط ساحلي بها، وجعلت بينانج ولاية مثل البنغال، ومدارس، وبومباي، وعين توماس ستامفورد رافلز حاكما عليها مع هيئة من الموظفين لإدارتها.

وعندما قامت الحرب بين فرنسا وبريطانيا في أوروبا استولى الإنجليز على ملقا، وسيلان عام 1795، وغزوا جاوه وباقي جزر الهند الشرقية عام 1811 ليحرموا حلفاء نابليون من الانتفاع بها، وعينوا رافلز حاكما عاما عليها لمدة ستة سنوات، ثم أعادوها إليها بعد انتهاء تلك الحروب رغم معارضة رافلز.

وعندما تأكد البريطانيون أن بينانج لا تصلح كموقع استراتيجي حربي، لأن مضايق ملقا تتسع عندها، ولا يمكن للسفن أن تتحكم في مداخلها نزل رافلز إلى الجنوب مسافة مائة وخمسين ميلا حيث تتقارب المضايق وتنازل له حاكم جوهور عن جزيرة سنغافورة بصفة دائمة عام 1819م فسيطرت الشركة عليها، وأصبحت تابعة لمركزها الرئيسي ببنكولوين في سومطرة، ثم ضمت لإدارة الشركة في البنغال رغم احتجاجات هولندا.

التوسع الاستعماري في المنطقة:

في عام 1824 أبرم اتفاق بين بريطانيا وهولندا حددت بموجبه مناطق النفوذ بينهما وتنازلت هولندا عن المطالبة بسنغافورة، وعن التدخل في شؤون آشين بسومطرة مقابل سيطرتها على بنكولن، ورسم خط يفصل بين مناطق نفوذهما امتد جنوبا إلى ساحل بورنيو.

وفي عام 1826 توحدت سنغافورة، وبينانج، وملقا، وتكونت منها مستعمرات الملايو والمضائق تحت إشراف حكومة الهند البريطانية، واتخذت سنغافورة عاصمة عام 1830، وأعدت لتكون محطة لترميم السفن البريطانية الذاهبة والآتية من الصين وإليها.

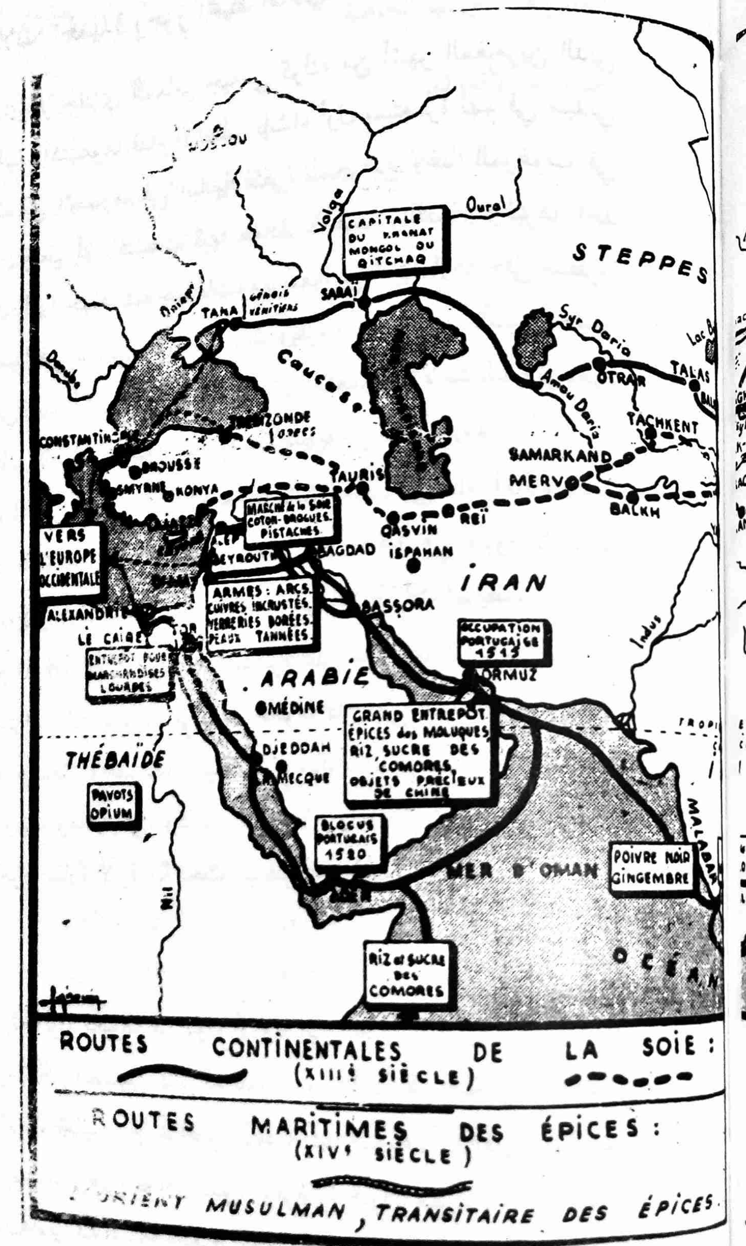
وفي عام 1840 أنشأ المغامر الإنجليزي المرتزق جيمس بروك مستعمرة ساراواك في بورنيو التي كانت تابعة اسميا لسلطان بروني، وضمت إلى المستعمرات السابقة، واستقل بها، وضاعف مساحتها بالتوسع وبقيت تحت حكم أسرته حتى عام 1946 م.

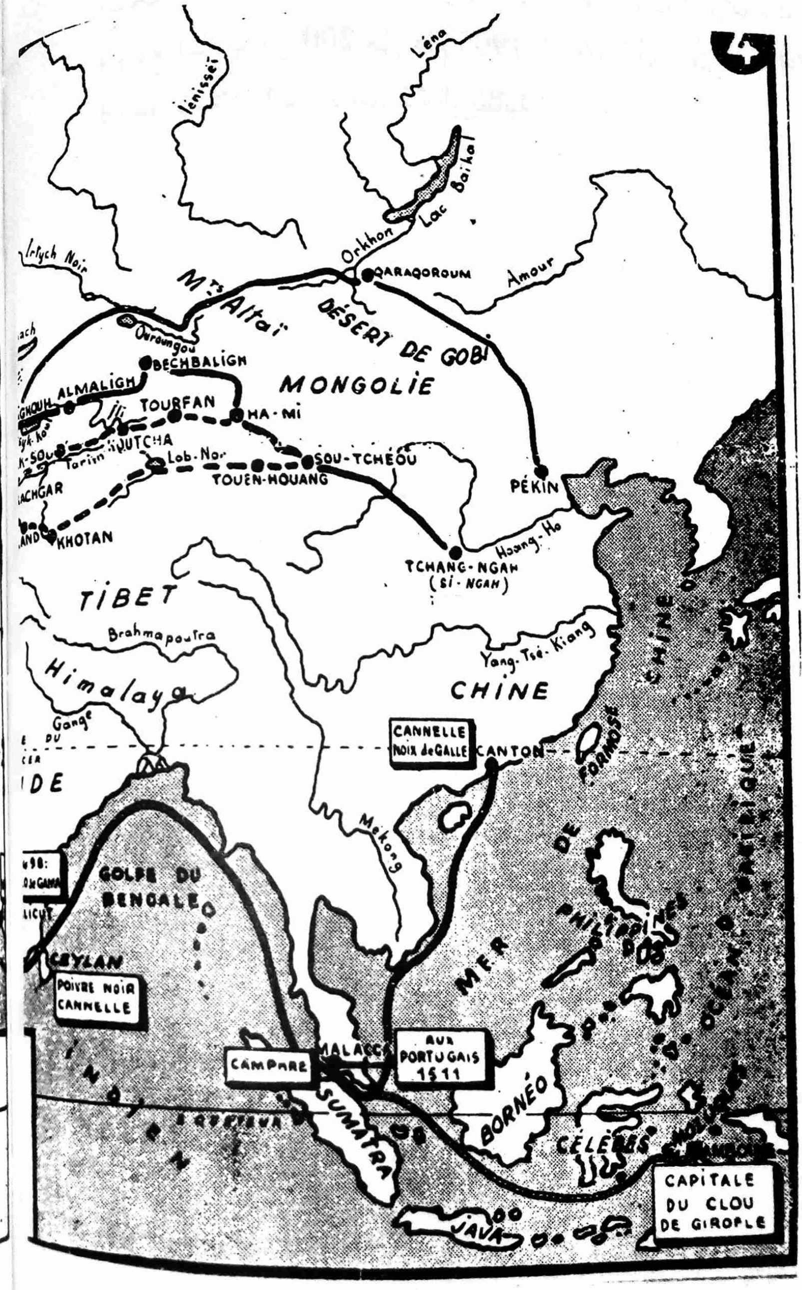
وفيما بين أعوام 1881 و1888، استولى الإنجليز على جزر ليبوان وكوكس وكيلنج، وكريسماس، وعلى الشمال الشرقي لبروني، وأسسوا منها مستعمرة تابعة للتاج، وفي الحرب العالمية الثانية احتلت اليابان سنغافورة، ولكن الإنجليز حرروها، وألغوا مستعمرة المضايق، وضمت ملقا، وولايات الملايو في اتحاد عام سنة 1948، بينما حولت سنغافورة وجزر الكريسماس وبعض الجزر الأخرى إلى مستعمرة تابعة للتاج.

سياسة الاستغلال:

لقد مارس التجار البريطانيون في هذه المنطقة أعمالا شائنة، وأخذوا يحجزون غلال الأراضي مقدما، ويحتكرون تجارة بعض أحواض الأنهار لمنع المنافسة الأوروبية الأخرى، خاصة بعد أن اكتشفت مناجم القصدير في بيراك، وسلانجور، وسانجاي وجونج، وشهد عام 1895 بداية فترة الازدهار والاستثمار

الأوروبي على نطاق واسع لمعدن القصدير وتصنيعه فتضاعف تصديره خاصة بعد استحداث الطرق الميكانيكية، وأدخلت زراعة المطاط وتقدمت بسرعة عجيبة وارتفع إنتاجها من 200 طن عام 1905 إلى 296 ألف طن عام 1920 وكل ذلك لفائدة الاستثمارات والرأسمالية البريطانية.


CAPITALE DU KHANAT MONGOL DU QITCHAQ
Volga
Oural
STEPPES
SARAÏ
TANA
Caucase
TRÉBIZONDE
CONSTANTINOPLE
BROUSSE
SMYRNE
KONYA
TAURIS
Syr Daria
Amou Daria
OTRAR
TALAS
TACHKENT
SAMARKAND
MERV
BALKH
QASVIN
REI
ISPAHAN
BAGDAD
BEYROUTH
MARCHÉ de la SOIE COTON-DROGUES PISTACHES
VERS L'EUROPE OCCIDENTALE
ALEXANDRIE
LE CAIRE
ENTREPOT POUR MARCHANDISES LOURDES
ARMES : ARCS CUIVRES INCRUSTÉS VERRERIES DORÉES PEAUX TANNÉES
IRAN
BASSORA
OCCUPATION PORTUGAISE 1515
ORMUZ
Indus
ARABIE
MÉDINE
GRAND ENTREPOT ÉPICES des MOLUQUES RIZ, SUCRE DES COMORES OBJETS PRÉCIEUX DE CHINE
DJEDDAH
LA MECQUE
THÉBAÏDE
PAVOTS OPIUM
BLOCUS PORTUGAIS 1580
ADEN
MER D'OMAN
POIVRE NOIR GINGEMBRE
MALABAR
RIZ et SUCRE DES COMORES
Nil
OCÉAN
ROUTES CONTINENTALES DE LA SOIE :
(XIIIe SIÈCLE)
ROUTES MARITIMES DES ÉPICES :
(XIVe SIÈCLE)
L'ORIENT MUSULMAN, TRANSITAIRE DES ÉPICES


Iénisseï
Léna
Lac Baïkal
Orkhon
QARAQOROUM
Amour
Irtych Noir
Mts Altaï
DÉSERT DE GOBI
MONGOLIE
BECHBALIGH
ALMALIGH
TOURFAN
HA-MI
KOUTCHA
Tarim
Lob-Nor
SOU-TCHÉOU
TOUEN-HOUANG
PÉKIN
KACHGAR
KHOTAN
TCHANG-NGAN (SI-NGAN)
Hoang-Ho
TIBET
Brahmapoutra
Himalaya
Gange
INDE
Yang-Tsé-Kiang
CHINE
CANNELLE Noix de GALLE
CANTON
Mékong
GOLFE DU BENGALE
CEYLAN
POIVRE NOIR CANNELLE
MER DE CHINE
FORMOSE
MER DE PHILIPPINES
OCÉAN PACIFIQUE
CAMPHRE
MALACCA
AUX PORTUGAIS 1511
SUMATRA
BORNÉO
CÉLÈBES
MOLUQUES
JAVA
CAPITALE DU CLOU DE GIROFLE

في أستراليا وزيلاندا الجديدة وجزر المحيط الهادي:

كان البحار الإنجليزي المغامر جيمس كوك، من أشهر المغامرين الذين وصلوا إلى أستراليا واكتشفوها فقام الإنجليز بإنشاء أول مستعمرة لهم في سيدني على الساحل الشرقي اتخذوها في البداية منفى للمجرمين وغير المرغوب في إقامتهم ببريطانيا، وبعد أن اكتشفت فيها معادن الذهب والفضة، وغيرها أخذ الإنجليز يهاجرون إليها جماعات، جماعات، وتوسعوا في استعمارها حتى سيطروا عليها كلها، وأسسوا في سيدني ولاية نيوسوث ويلز، وأعقب ذلك تأسيس خمس ولايات أخرى في أستراليا، وأباد الإنجليز خلال استعمارهم لأستراليا وتوسعهم فيها، معظم السكان الأصليين ومنعوا الشعوب الآسيوية من الهجرة إليها.

وفي عام 1850 منحت أستراليا حكما ذاتيا، وتألف في عام 1901 اتحاد فيدرالي من تلك الولايات لتزداد قوة، وارتفعت عام 1831 هي ونيوزيلاندا من مستوى ممتلكات، إلى دول مستقلة دخلت أعضاء في الكومنولث البريطاني.

وفي عام 1840 قامت بريطانيا بالسيطرة على جزر زيلاندا الجديدة، بعد سيطرتها على أستراليا، ثم استولت في عهد حكومة دزرائيلي المحافظة على جزر فيجي، (1874) وتنجا، وجلبرت، وفينكس، وسالومون، وسانتاكروز، وأليس، وهبريد، وكوك، ونيو، وماناهيكي، وكريسماس، ولاكروا والاتحاد وفانينج، وبذلك أصبحت معظم جزر القارة الأوقيانية تحت السيطرة البريطانية.

في الصين:

تطلعت إنجلترا، كغيرها من دول أوروبا إلى الصين باعتبارها سوقا كبيرة للبضائع الأوروبية، لكن الصينيين كانوا قد تلقوا دروسا أليمة من التجار الأوروبيين منذ وطئت أقدام البرتغاليين أو شياطين البحر، كما سموهم، أراضي موانيهم، فتعاملوا معهم بحذر، وعلى نطاق ضيق، وفرضوا قيودا شديدة على التجار الخارجية في وقت قوي فيه الإنتاج والعرض من جانب دول أوروبا خاصة الصناعية منها، فكانت النتيجة حدوث صدام دموي بين دول الغرب والصين وكانت إنجلترا

أول من شن الحرب عليها، وفتح أبوابها على مصراعيها للتدخل الأوروبي الفاحش الماكر في شؤونها الخاصة.

حروب الأفيون:

وكان الخلاف حول تجارة الأفيون، السبب المباشر في إشعال الحرب بين إنجلترا والصين، فقد كانت شركة الهند الشرقية الإنجليزية حتى عام 1833م ما تزال شركة تجارية في الصين، وكان عليها أن تحصل على كميات عظيمة من الفضة لتدفع ثمن الشاي والبضائع الأخرى التي تستوردها بريطانيا.

وبعد عام 1820 انعكس اتجاه تدفق الفضة بسبب ازدياد مستوردات الصين من الأفيون، وكان البريطانيون يزرعونه بالهند تحت إشراف الإدارة الإنجليزية، ويهربونه إلى الصين، بكميات كبيرة ليبيعوه بالفضة التي تتسلمها الشركة منهم لتدفعها ثمنا للشاي المستورد من الصين نفسها، ومما زاد الأوضاع سوءا أن معظم الأوروبيين الذين يحترفون التجارة مع الصين كانوا من المتمردين ذوي الأخلاق الفاسدة الشرسة. مما أدى إلى نشوب سلسلة من الأزمات والحروب كان أفظعها حروب الأفيون الأولى والثانية.

تأثير الأفيون على الشعب الصيني:

وقد كان لإدخال الأفيون إلى الصين وتعاطي تدخينه أثره السيء على صحة الصينيين، كما أن بيعه أدى إلى خروج الأموال الصينية بالجملة إلى جيوب الأجانب، وأحدث ذلك ارتباكا في الميزان التجاري وفي اقتصاد الصين، ولذلك اضطرت حكومة الصين إلى إصدار قرار بمنع استيراد الأفيون، واعتباره من البضائع المهربة التي يجب مصادرتها.

وفي عام 1839 استولت السلطات الصينية على كميات كبيرة من الأفيون هربها تجار إنجليز وغيرهم إلى كانتونج، فأعدمتها، وكانت قيمتها حوالي ستة ملايين دولار، واتخذت إجراءات صارمة ضدهم، وكان أغلبهم إنجليز، فقامت إنجلترا بإعلان حرب الأفيون الأولى عليها (1840- 1842م) بأسلحتها الفتاكة

الحديثة، وأرغمتها على إمضاء معاهدة نانكينج عام (1842م) وحصلت بموجبها على احتلال جزيرة هونك كونق، وفتح مواني، كانتونج، وآموي وفوشو، وننجبو، وشنغهاي، الصينية، للتجارة الإنجليزية، وعلى تعويض مالي مقداره واحد وعشرون ألف دولار، وامتيازات خاصة للتجار الإنجليز المقيمين بالصين مثل المحاكمة أمام محاكم غير صينية، وكانت هذه المعاهدة المجحفة بحقوق الصين وشعبها، دافعا لدول أوروبا الأخرى لكي تحصل على مثلها فيها كذلك.

غير أن بريطانيا لم تقنع بما حصلت عليه، ولم يكفها تخدير الشعب الصيني وتعريض حياته ومستقبله إلى الانهيار والضياع، فأعلنت هي وفرنسا هذه المرة حرب الأفيون الثانية على الصين (1856/1860) وأرغمتها على الاعتراف لهما بامتيازات جديدة بمقتضى معاهدة بيكين، نالتها بعد ذلك باقي دول أوروبا الاستعمارية كألمانيا، وأمريكا، وروسيا، وفتحت أبواب الصين على مصراعيها للنفوذ الأجنبي الأوروبي بشكل مثير ومخيف.

وانقسمت في أواخر القرن التاسع عشر إلى مناطق نفوذ استعمارية فرنسية، وإنجليزية، وألمانية وروسية للتجارة والبحث عن المعادن وإقامة المصانع، ومد خطوط السكك الحديدية، واتفقت كلها على سياسة الباب المفتوح، وشهدت الصين حالة من الفوضى والتأخر فضيعين حتى توحدت في العشرينات من أوائل هذا القرن، وألغت هذه الامتيازات الأجنبية في بلادها، وتعرضت للغزو الياباني في الحرب العالمية الثانية وبعدها ظهر ماوتسيي تونغ أبو الوطنية والنهضة الصينية فحررها من سطوة الغرب الرأسمالي، وبعثها من رقادها، وتقدمت بزعامته خطوات عملاقة جبارة، وكانت ثورتها الثقافية عام 1966 قمة كفاحها من أجل محو كل أثر غربي أوروبي فيها.

في البلاد العربية:

بدأت أطماع الإنجليز في الشرق العربي، منذ أن وصلوا بسفنهم إلى البحر العربي في مياه المحيط الهندي، فتمركزوا بالخليج العربي الفارسي منذ عام 1622، وأسست شركة الهند الشرقية الإنجليزية مركزا تجاريا لها بالبصرة عام 1642،

وعينت وكيلا لها وقنصلا في بغداد عام 1740 واحتلت جزيرة بريم العربية عند مدخل باب المندب عام 1799، واتصلت إنجلترا بإمام مسقط في العام الموالي وعقدت معه اتفاقا تعهد بالأخذ بآرائها عن طريق وكيلها الذي يقيم في مسقط، وبإبعاد عملاء فرنسا التي كانت تحتل مصر، وعلى غرار هذه المعاهدة مع إمام مسقط عقدت بريطانيا معاهدة أخرى مع شيخ البحرين، وأحكمت صلاتها ببلدان الخليج فيما بين 1820-1839م لتقاوم نفوذ محمد علي المتزايد، وبسطت نفوذها على الكويت عام 1899، واحتلت عدن قبل ذلك عام 1839، واتخذتها قاعدة لفرض سيطرتها على سلاطين العرب ومشايخهم في الجنوب العربي، واستطاعت خلال المائة عام التالية أن تدخلهم تحت نفوذها واحدا بعد الآخر بسلسلة من المعاهدات، ومبالغ من المال، فضلا عن تهديداتها باستخدام القوة.

أما بلدان العراق والشام فرغم بقائها تحت نفوذ الدولة العثمانية حتى الحرب العالمية الأولى، إلا أنها لم تسلم من أطماع الأوروبيين ولم تنج من الوقوع في يد الاستعمار، فقد توافد عليها رؤوس الأموال الأجنبية والإنجليزية والفرنسية والألمانية لاستغلال خيراتها تمهيدا لاحتلالها واستعمارها، وبعد دخول تركيا إلى جانب ألمانيا في الحرب العالمية الأولى قسمت فرنسا وإنجلترا أملاكها في البلاد العربية فيما بينها، واحتلت بريطانيا العراق والأردن وفلسطين، وأهدت فلسطين إلى اليهود، بعد أن خدعت العرب وخانت وعودها نحوهم في الاعتراف باستقلالهم رغم وقوفهم إلى جانبها في الحرب وتلك هي وعود المستعمرين.

الخلاصة:

عندما تدهورت إمبراطورية المغول بالهند أواخر القرن السادس عشر، اغتنمت بريطانيا الفرصة، وأخذت تتركز بها، واتخذتها كقاعدة للتوسع شرقا وغربا بآسيا.

فأسست شركة الهند الشرقية، وأوكلت إليها أمر الاستعمار والاستغلال والقيام بالحركة التجارية، في الهند وكل بلدان آسيا، وقد افتتحت هذه الشركة نشاطها الاستعماري بإنشاء مراكز، مدارس، وبومباي وكلكتا، وأخذت تمد نشاطها

على كل أجزاء الهند حتى سيطرت عليها بفضل جهود كلايف وهستنجرن ومارس موظفوها كل ألوان السلب والنهب والاستغلال، والرشوة، والفساد والتجهيل للشعب الهندي.

ومن الهند امتد نفوذ الإنجليز إلى مملكة بورما شرقا واحتلوها على مراحل وتخطوها إلى الملايو وسنغافورة فاحتلوها لأهميتها الاستراتيجية واتخذوها قواعد لأساطيلهم البحرية وحملاتهم العسكرية إلى جزر الهند الشرقية واشتد تكالبهم عليها بعد اكتشاف القصدير في المنطقة، ولعب المرتزقان رافلز وبروك دورا كبيرا في احتلالها والتوسع بها.

ومن الملايو امتد نفوذ الإنجليز إلى أستراليا وزيلاندا الجديدة وباقي جزر المحيط الهادي، ولعب المغامر كوك الدور الكبير في تركيز نفوذ الإنجليز بأستراليا التي حولها إلى موطن للهجرة الإنجليزية بعد أن أبادوا معظم سكانها الأصليين، وأخذوا يستغلون خيراتها المعدنية والحيوانية والزراعية، ولم يتورع الإنجليز عن شن حروب قذرة ضد الصين من أجل بيع الأفيون المخدر فيها وفتح أبوابها للنفوذ الأجنبي، والامتيازات الأجنبية البغيضة، كما لم تتورع عن خداع العرب وتقسيم بلادهم بينها وبين فرنسا بعد الحرب العالمية الأولى رغم وقوفهم إلى جانبيهما في الحرب، بعد أن فرضت سيطرتها على مناطق أخرى كثيرة في الخليج والجنوب العربي في أواخر القرن الماضي.

الاستعمار الفرنسي في آسيا

اتجاه فرنسا الاستعماري:

كانت فرنسا قد استعمرت مناطق في أمريكا، وفي الهند، ولكنها خسرتها بعد حرب السنوات السبع، ولم يبق لها إلا بعض جيوب في سواحل الهند الشرقية والغربية، وبعض جزر صغيرة في جزر الهند الغربية وغويان بأمريكا الجنوبية، ولم تستطع حروب نابليون أن تكسبها مستعمرات جديدة وراء البحار، رغم محاولة نابليون احتلال مصر عام (1798م).

وفي القرن التاسع عشر، نشطت الحركة الاستعمارية في فرنسا وظهر رجال ذوو ميول استعمارية أمثال: جورج كليمانصو، وجول فيري، وتيوفيل دلكاسية، كانوا يرون أن مركز فرنسا الدولي يتوقف على ما تملكه من مستعمرات، وأيدهم في ذلك كتاب ومفكرون يؤمنون بنفس تلك الميول الاستعمارية، فاندفعت فرنسا إلى ميدان الاستعمار، واستولت على مناطق واسعة في ظروف ومناسبات مختلفة كونت منها إمبراطوريتها الواسعة، واتبعت في إدارتها طرقا وأشكالا مختلفة متنوعة.

فجعلت قسما منها جزءا من البلاد الفرنسية تتحد معها إداريا وسياسيا، واقتصاديا، وتشريعيا، ووضعت بعضها تحت حكمها المباشر واكتفت بفرض حمايتها على القسم الباقي، وجعلت الموقع الجغرافي للمستعمرات أساسا في إداراتها.

فعهدت بإدارة مستعمراتها في غرب إفريقيا إلى حاكم عام واحد مركزه داكار، ووضعت حاكما آخرا لممتلكاتها في إفريقيا الوسطى والاستوائية، وحاكما عاما لمستعمراتها بالهند وآسيا.

طبيعة الاستعمار الفرنسي:

لم يتبع الاستعمار الفرنسي أسلوبا واحدا، بل تكيف حسب البلدان والمناطق، ففي الهند بدأ المستعمرون الفرنسيون ينشؤون شركات تجارية لاحتكار التجارة المتبادلة بين آسيا وأوروبا، استلزم ذلك عليهم إقامة قواعد ومراكز عسكرية لحمايتها، وحماية طرق التجارة، ولم تسمح كثافة السكان في تلك المنطقة لاتخاذها مستعمرات استيطان، كما أن رقي الحضارة جعل الاصطدام عنيفا بين المستعمرين الأوروبيين والمواطنين الهنود.

ولما لم تفلح شركة الهند الشرقية الفرنسية في أداء مهمتها الاستعمارية كما هو الحال بالنسبة للشركة البريطانية، فقد حاولت فرنسا أن تفرض سيطرتها السياسية على الأمراء المحليين، وبهذا الأسلوب استطاع دوبليكس أن يوسع نفوذها، واستغل المنازعات الداخلية بين المسلمين والهنود ليركز سيطرته ويقوي مركزه.

وفي جزر المحيط الهندي اهتم الفرنسيون بتحصينها لاتخاذها قواعد

عسكرية نظرا لأهميتها الاستراتيجية في شرق إفريقيا، كما استغلوها في زراعة قصب السكر لملائمة مناخها له، أما الاستيطان فلم يكن واسعا.

وفي الهند لم يكن مناخها ملائما لاستقرار الفرنسيين ولذلك لم يتخذوها كمستعمرة، وإنما استغلوها زراعيا، واقتصاديا، واقتصر الاستيطان فيها على رجال الدين المبشرين الذين يقومون هناك بنشاط تبشيري واسع.

أما شمال إفريقيا فقد ارتبط الاستعمار الفرنسي فيه بحركة الهجرة والاستيطان الواسعة التي أدت إلى كوارث بشرية واجتماعية فيما بعد خاصة أثناء موجة الاستقلال والتحرر.

بداية ظهور الاستعمار الفرنسي في آسيا:

بدأ اهتمام فرنسا بتجارة الشرق منذ وقت مبكر، فكونت شركة الهند الشرقية الفرنسية في عهد هنري الرابع، وظلت هذه الشركة قائمة اسميا حتى عهد لويس الرابع عشر الذي يعد رئيس وزارته كولبير، عناية خاصة للتجارة مع جزر الهند الشرقية في إطار سياسة فرنسا الاقتصادية وتم إنشاء أول مصنع فرنسي في سورات بالهند عام 1668، وتركزت أقدام الفرنسيين في بوند يشيرى منذ عام 1674م.

الغزو التبشيري:

كان المبشرون الفرنسيون الكاثوليك يسبقون التوسع الاستعماري الفرنسي في أغلب الأحيان بآسيا، ففي عام 1610م أرسلت فرنسا الراهب الجزويتي إسكندر رودس ليستقصى أحوال البلاد الصينية، وقام رهبان ومبشرون آخرون من الجزويت الفرنسيين، بتمهيد الطريق للحكومة الفرنسية لكي تفرض احتلالها على كمبوديا، وأنام، وسيام، وجنوب بورما، ولكنهم في غمرة الحماس الديني والحرص على نشر مذاهبهم المختلفة أخذوا يضطهدون المسيحيين في سيام مما أدى إلى تضعضع النفوذ الفرنسي في المنطقة مدة من الزمن.

في بلاد الهند:

تفطنت فرنسا إلى الأرباح الطائلة التي كان يحصل عليها الهولنديون والإنجليز في الهند والشرق، فأسست شركة الهند الشرقية الفرنسية عام 1664، وشرعت تبني لنفسها قوة تجارية في الشرق، وبدأ التجار الفرنسيون يكونون لأنفسهم شركات تجارية خاصة لاحتكار التجارة بين أوروبا وآسيا وكونوا في الهند مراكز تجارية لشركاتهم، تحولت فيما بعد إلى مراكز احتلال مهدت للاحتلال العسكري، وإقامة القواعد العسكرية في المنطقة.

ففي البداية أنشأت الشركة وكالة تجارية في سورات، ثم اشترت 113 فدانا جنوب مدارس أسست فيها مركز بونديشيرى عام 1674م وأسست في البنغال مركز شندراناجور.



تقسيم تركيا والبلاد العربية وفق معاهدة سايكس-بيكو السرية عام 1916

سياسة دوبليكس:

وبعد ذلك قامت فرنسا بتعيين دوبليكس حاكما عاما على محطاتها التجارية في سواحل الهند عام 1738، فأخذ يوسع نفوذ فرنسا في المنطقة بواسطة استغلال المنازعات الداخلية بين الأفراد والجماعات وتأييد ذا ضد ذاك، مقابل قبول الحماية الفرنسية، وبهذا الأسلوب وقع الجزء الأكبر من جنوب الهند تحت السيطرة الفرنسية وخاصة إمارة الدكن الكبيرة.

وعندما قامت حرب السنوات السبع (1756-1763) بأوروبا كان مركز فرنسا بالهند متفوقا على بريطانيا، ولكن إنجلترا بفضل سيطرتها على البحار استطاعت أن تطرد الفرنسيين من الهند، وأمريكا، أثناء تلك الحروب بعد أن نجحت في قطع الصلة بين فرنسا وحامياتها الآسيوية، وذلك وفق معاهدة باريس عام 1763.

وحتى عندما عادت إليها عام 1783، لم يتجاوز نفوذها خمسة مراكز ومحطات هي، بونديشيرى، وشندرناجور، وكريكال، وما هي، ويناؤن، ظلت تابعة لها حتى سلمتها إلى الهند عام 1954م.

في الهند الصينية:

تعتبر الهند الصينية أهم مستعمرات فرنسا في آسيا، وبدأ اتصال الفرنسيين بها منذ عهد لويس السادس عشر الذي أرسل بعثة تبشيرية إلى كوشينشين في جنوب الهند الصينية حصل أسقفها من الإمبراطور على حق السيطرة على خليج طوران، وبعض الجزر الموجودة أمامه، مقابل خدمة أداها له أثناء انتخابه على البلاد كملك، ولكن فرنسا لم تستفد من هذا التنازل إلا في عهد نابليون الثالث الذي اشترك مع إنجلترا في حملة عسكرية ضد الصين لإجبارها على منح امتيازات اقتصادية للرأسماليين الأوروبيين، ودينية، وثقافية للمبشرين المسيحيين المخربين.

فاغتنمت فرنسا فرصة هذه الحرب واحتلت خليج طوران عام 1858 وانتقمت من حاكم فيتنام التابع للصين، الذي أظهر عدواته للأجانب والمبشرين

الأوروبيين، وأقدمت على احتلال سايغون عام 1860م، وأخذت تتوسع بعد ذلك في جنوب الفيتنام حتى احتلت الأقاليم الثلاثة التي تكون الكوشين شين، وجعلتها تحت إدارتها المباشرة، وتركت جزءا كبيرا من البلاد خاضعا للأسرة الحاكمة.

وفي عام 1867 أعلى الثالث عن ضم الكوشين شين إلى فرنسا بضغط من القوات البحرية والرأسمالية، لاستغلاله في الميدان الزراعي، ولما كان مناخ هذه البلاد لا يلائم الفرنسيين، فإنهم لم يكثروا من الهجرة إليه للاستيطان باستثناء المبشرين المسيحيين الذين أبدوا نشاطا دينيا متزايدا لنشر الكاثوليكية في الفيتنام عامه والقسم الجنوبي بصفة خاصة، وهم الذين ألحوا على احتلال الهند الصينية والتوسع فيها.

توسع فرنسا الاستعماري في الهند الصينية:

وفي أثناء التوسع في فيتنام احتلت فرنسا الكامبودج عام 1763م وسيطرت على اللاووس بواسطة البعثات التبشيرية والتجارية.

وبعد حرب السبعين في أوروبا عادت فرنسا لنشاطها الاستعماري لتعوض عن فقدانها للإلزاس واللورين، وتوسع نشاطها الاقتصادي، وتروي نهمها الاستعماري وتوفر أسواقا جديدة لإنتاجها الصناعي المتزايد، ووجدت تشجيعا من ألمانيا، لتصرفها عن فكرة الانتقام، واستعادة إقليمي الإلزاس واللورين.

وتزعم حول فيرى هذه الحركة الاستعمارية الجديدة، واتخذت إقليم الكوشين شين مركزا للتوسع في الهند الصينية، كما اتخذت من قبل الجزائر منطلقا للتوسع في شمال إفريقيا، والسنغال مركزا للتوسع في إفريقيا الغربية والوسطى، واستغلت فرنسا حادث مقتل أحد المبشرين الفرنسين، وشرعت في احتلال الهند الصينية منطقة فمنطقة.

ففي عام 1873 أقام التاجر الفرنسي: جون ديوى قلعة حصينة في أحد أحياء هانوى، ورفع عليها العلم الفرنسي، وهو صاحب مستودع لبيع الأسلحة في مقاطعة يونان الجنوبية، فأثار بذلك شعور الفيتناميين وحكومتهم التي احتجت على هذا العمل لدى حاكم الكوشنشين الفرنسي الذين زاد في تعقيد الأمور عندما أعلن

عن احتلاله لدلتا نهر السانج كوى الذي يربط بين الصين والهند الصينية، فقام السكان بقتل أحد الضباط التابعين للبحرية الفرنسية، وهددت فرنسا بالانتقام وأرغمت حكومة الفيتنام على توقيع معاهدة مجحفة حصلت بموجبها على الإشراف على شؤونها الخارجية، ولم تكتف بهذا فقامت باحتلال وادي التونكين، ثم أرسلت حملة عسكرية عام 1883، على أثر مقتل أحد الضباط الفرنسيين، أرغمت حكومة الفيتنام على الاعتراف بالحماية الفرنسية على بلادها ووادي التونكين، كما أرغمت حكومة الصين في العام الموالي على الاعتراف بهذه الحماية، والتخلي عن ادعاءاتها في التونكين، وفتح مدينتين صينيتين في الجنوب للتجارة الفرنسية ومنحها امتيازات واسعة في إقليم يونان شمال الهند الصينية.

وبعد أن فرضت فرنسا سيطرتها على كل مناطق الهند الصينية، عمدت إلى استغلال كل إمكانياتها الزراعية والمعدنية لفائدة اقتصادها الوطني.

وألفت في عام 1894 اتحادا فيديراليا يضم، الفيتنام، واللاووس، والكامبودج، والكوشنشين، وأخضعته لحاكم عام واحد يجمع في يده السلطة على الجيش والحركة والإدارة ويعاونه مجلس استشاري استعماري.

أما مملكة سيام فقد كانت منطقة صراع بينها وبين بريطانيا التي تفطنت لأطماعها في مياه المحيط الهادي، ولهذا قامت إنجلترا باحتلالها وضمها إلى إمبراطورية الهند.

في جزر المحيطين:

تملك فرنسا في المحيط الهادي، جزر كاليدونيا الجديدة وهبريد الجديدة، وتاهيتي، وسوسياتي، وليوتي، وتواموتو، وشوستربيلد، وبعض الجزر الأخرى الصغيرة وتملك في المحيط الهندي جزر، كومور، وريونيون، وبعض جزر أخرى صغيرة كذلك.

في البلاد العربية:

أما في البلاد العربية فقد دخلت في صراع حاد مع بريطانيا، وحاولت

احتلال مصر عام 1798م ففشلت وأخذت تتدخل في شؤون سوريا ولبنان ابتداء من أزمة لبنان عام 1860، وسنحت لها الفرصة بالسيطرة عليهما بعد الحرب العالمية الأولى بمقتضى اتفاقية سايكس بيكو بينها وبين بريطانيا.

الخلاصة:

بعد أن خسرت فرنسا مستعمراتها بأمريكا، بسبب مؤامرات الإنجليز اهتمت بأمر الاستعمار في آسيا، ونشطت فيها الدعوة للاستعمار في القرن التاسع عشر، للتعويض عن مستعمراتها بأمريكا والإلزاس، واللورين بأوروبا، وفتح أسواق جديدة للصناعة الفرنسية، وكان وراء هذه الدعوة، ساسة ومفكرون أمثال جول فيري، وكليمانصو، ودوبليكس.

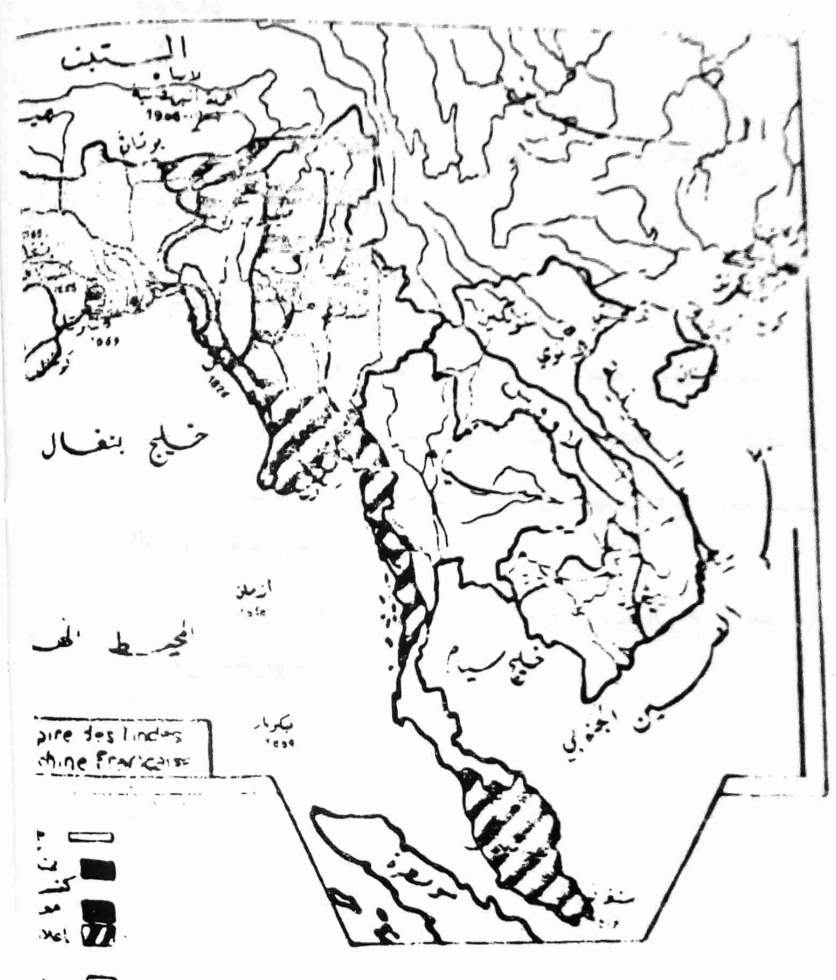
وقد اتبعت عدة أساليب وأشكال في استعمارها الجديد.

فاستغلت الهند الصينية كمنطقة للإثراء التجاري، والنشاط الزراعي الواسع.

واستغلت جزر المحيطين الهندي، والهادي في زراعة قصب السكر وإنشاء القواعد العسكرية.

وسلكت في الهند سياسة التفرقة وبث النزاع والخصام بين المواطنين لفرض سيطرتها.

امبراطورية الهند والهند الصينية الفرنسية





واتخذت الجزائر وباقي بلدان شمال إفريقيا موطنا للهجرة والاستيطان الأوروبي الاستعماري إلى جانب الاستغلال الاقتصادي.

وفي كل هذه الأقاليم كان النشاط التبشيري على أشده وراء هذه الحركة الاستعمارية البغيضة وقد سيطرت بالهند على عدة مراكز منها خمسة هي: بونديشيرى، وشندرانجور وماهيى، وكريكالن ويناؤون سلمتها إلى الهند عام 1954م.

وسيطرت على كل بلاد الهند الصينية وألفت منها عام 1894 اتحادا من الكوشين شين، والفيتنام، والكامبودج، واللاووس.

وسيطرت على سوريا ولبنان في البلاد العربية وعلى جزر عديدة في المحيطين الهندي والهادي.

الاستعمار الهولندي بآسيا

زحف المبشرين المسيحيين إلى الشرق:

اقترن قيام إمبراطورية المغول باهتمام الأوروبيين بنشر المسيحية بينهم على أمل أن يصبحوا حلفاء لهم ضد المسلمين، وفي هذا الإطار أرسل البابا إلى جنكيزخان عدة رسائل ومبعوثين، كما أرسلت فرنسا الكاثوليكية عدة بعثات وإرساليات إلى بلاد المغول لمحاولة تنصيرهم ولكن هذه البعثات فشلت في ذلك، كما فشلت في عقد محالفة ضد المسلمين غير أنها زادت من اهتمام الأوروبيين بالشرق الأقصى.

فرحل الأخوان نيكولبولو، وما فيوبولو إلى بلاط قبلاي خان بالصين للحصول على امتيازات تجارية، وكررا الرحلة إليها، وألف ماركوبولو كتابا عن الصين سجل فيه انطباعاته ومشاهدته فيها.

وبعد أن سقطت إمبراطورية المغول اعتمد الأوروبيون على المسلمين في جلب حرير الصين وتوابل الهند بأسعار عالية ودفعهم ذلك إلى البحث عن طريق آخر جديد للوصول إلى شرق آسيا بعيدا عن نفوذ المسلمين.

التنافس الأوروبي الاستعماري على آسيا:

وبعد حركة الكشوف واكتشاف طريق الرجاء الصالح حول إفريقيا سيطر البرتغاليون على تجارة الشرق وبحارها خلال جزء من القرن السادس عشر، ثم نافسهم الهولنديون، وانتزعوا منهم تجارة جزر الهند الشرقية وحصلوا منهم على مواقع في الهند وسيلان.

وبعد أن ظهر الإنجليز في الهند والشرق الأقصى بسبب التنافس الاستعماري تخلى لهم الهولنديون عن الهند، وركزوا جهودهم واهتماماتهم على جزر الهند الشرقية.

وفي القرنين التاسع عشر والعشرين، قويت حركة الاستعمار الإنجليزي في الهند التي اتخذتها قاعدة للتوسع، ونشطت فرنسا في استعمار الهند الصينية وحاولت ألمانيا توطيد نفوذها في آسيا واهتمت الولايات المتحدة الأمريكية، بشؤون الشرق الأقصى بعد أن فرضت سيطرتها على القارة الأمريكية الشمالية، وأوصلت نفوذها إلى المحيط الهادي.

وظهرت اليابان في الشرق الأقصى كدولة توسعية بعد أن أخذت بأسباب المدنية الحديثة أواخر القرن التاسع عشر، ونظمت جيوشها وبحريتها على أحدث الأساليب العصرية، واستعانت بضباط أوروبيين في تدريب قواتها البرية والبحرية، ونهضت بصناعتها، وتعليمها، فظهرت أطماعها في التوسع بالصين.

ظهور الاستعمار الهولندي:

كانت هولندا تابعة للتاج الإسباني منذ أوائل القرن السادس عشر، واشتهرت، نتيجة لظروفها الطبيعية والجغرافية بنشاطها البحري والتجاري وسط دول غرب أوروبا وشمالها، وحصل الهولنديون من ملك إسبانيا على حق التجارة في ممتلكاتها الواسعة فيما وراء البحار، وقامت سفنهم بنقل البضائع الشرقية من موانئ إسبانيا والبرتغال إلى شمال أوروبا، وكسبوا من ذلك ثروات طائلة.

وفي عام 1566 ثار الهولنديون على الحكم الإسباني، ودخلوا في سلسلة

من الحروب ضد إسبانيا، وقاموا بإعلان استقلالهم عام 1579 رغم إرادة الملك الإسباني فيليب الذي ظل يحاصر بلادهم، ويمنعهم من الاتصال بالعالم الخارجي، فزاد ذلك في تحفزهم للعمل، واستغلوا فرصة انضمام أملاك البرتغال إلى إسبانيا عام 1580 فأخذوا يهاجمونها للحصول على بضائع الشرق وبهاراتها، وكان تحطيم الأسطول الإسباني (الارمادا) على يد الإنجليز في القتال الإنجليزي، في نفس العام، من العوامل المهمة التي فتحت أمامهم فرص المغامرة، وتوافد التجار منهم إلى أرخبيل الملايو منذ عام 1590. وكونوا شركة الهند الشرقية الهولندية المتحدة عام 1602، ومنحتها الحكومة الهولندية حق الاحتفاظ بجيش وأسطول قويين، وتكوين المستعمرات، وممارسة التجارة في المنطقة الممتدة من رأس الرجاء الصالح إلى مضيق ماجلان، واعتبرتها شركة مساهمة قانونية تخضع لإشرافها هي، وقد استعملت هذه الشركة مختلف وسائل المكر والخداع، والغزو العسكري، للسيطرة على مناطق استراتيجية في جزر الهند الشرقية.

بسط النفوذ الهولندي على جزر الهند الشرقية:

وقد صمم الهولنديون على امتلاك مناطق الإنتاج في جزر الهند الشرقية وعدم الاكتفاء باحتلال مناطق استراتيجية محصنة تتحكم في طرق التجارة كما فعل البرتغاليون، ومن أجل ذلك أسسوا محطة تجارية في بتافيا (جاكارتا) بجزيرة جاوة، التي تحولت إلى عاصمة بجزر الهند الشرقية منذ عام 1619 وأخذت السفن الهولندية تحمل منها خيرات الجزيرة من بن، وشاي، وبهار، ونيلة، وجوز، وسكر، وطيب، وكافور، إلى هولندا وأوروبا.

ومن هذه المحطة أخذ الهولنديون يبسطون نفوذهم تدريجيا على كل الجزيرة، وأعانهم موقعها الاستراتيجي وسط أرخبيل الملايو على مد نفوذهم إلى جزيرة سومطرة في الغرب، وجزر البهار الأخرى في الشرق مثل صوندا، ومولوك، وجنوب بورنيو، وغينيا الجديدة، ومادورا، وتسانيا وهي كلها غنية بالمطاط، والتوابل، والسكر، والبن، والشاي، ولم يأت عام 1641 حتى كان الهولنديون قد سيطروا على ملقا نفسها بالمبايو وأحكموا قبضتهم على إمبراطوريتهم الجديدة

بجزر الهند الشرقية.

السيطرة على سيلان وبعض المراكز بالهند:

وفي نفس الوقت أخذ الهولنديون يوجهون ضرباتهم إلى البرتغاليين في الهند وسيلان، حتى بعد أن انفصلت البرتغال عن إسبانيا عام 1558، فسيطروا على سيلان وانتزعوها منهم عام 1605، وسيطروا على تجارة القرفة الواسعة هناك، وطمعوا في تجارة الفلفل التي كانت بيد البرتغاليين في ساحل مالابار الهندي، ونجحوا في انتزاع بعض المراكز الغنية مثل كوشين.

تأسيس مستعمرة الرأس:

ونظرا لازدياد نشاط الأساطيل الهولندية التي كانت تبلغ حوالي عشرة آلاف سفينة، بين أوروبا والهند، فقد ازدادت أهمية رأس الرجاء الصاح بأقصى جنوب إفريقيا، كمحطة تموين للسفن بالماء والغذاء فأقامت شركة الهند الشرقية الهولندية قلعة في تلك الجهات وزرعت حولها حدائق الخضروات، وأخذ الهولنديون من ذلك المركز يتوغلون في جنوب إفريقيا، غير أن مستعمراتهم هناك نمت ببطء وبقيت محطة الرأس في يدهم حتى عام 1806 حيث انتزعتها منهم بريطانيا،

اتصال الهولنديين تجاريا باليابان:

ومن جزر الهند الشرقية امتد نشاط الهولنديين إلى اليابان في الشرق الأقصى التي كانت قد فتحت أبوابها للتجارة البرتغالية في القرن الخامس عشر، ثم طردتهم في القرن الموالي بسبب نشاطهم التخريبي وأطماعهم الاستعمارية، وأصدرت قرارا يقضي بطرد الأجانب من بلادها، ولكنها سمحت للهولنديين بعد ذلك بإقامة مركز تجاري في ناجازاكي لما رأت أنهم لا يتناولون التدخل في شؤونها الخاصة، ولا يخلطون بين التجارة والدين، وظلوا يمارسون تجارتهم هناك لمدة قرنين كاملين، وأصبحوا همزة الوصل بينها وبين العالم الخارجي طوال عهد

إقصاء الأجانب اليابان.

قوة هولندا في الشرق في منتصف القرن السابع عشر:

وهكذا أصبحت هولندا في منتصف القرن السابع عشر أكبر قوة أوروبية في الشرق الأقصى بعد أن انهارت قوة البرتغاليين أمام أساطيل وقوافل تجارها.

غير أن الهولنديين لم يحاولوا احتكار كل تجارة الشرق مثل البرتغاليين بل ركزوا اهتمامهم في السيطرة على جزر الهند الشرقية "أندونيسيا" وإحكام قبضتهم عليها، وتركوا الهند مفتوحة للسيطرة والتوسع الإنجليزي الجديد.

وسيطرت شركة الهند الشرقية الهولندية على هذه المستعمرات طوال القرنين السابق عشر والثامن عشر، واستعانت بجيش وأسطول هولنديين قويين، وحكام أشداء، في حكم هذه المستعمرات الواسعة التي تزيد مساحتها عن مليوني نسمة، واستطاعت أن تحصل على أرباح طائلة على حساب الأهالي الذين سلبهم الهولنديون استقلالهم، وسخروهم للعمل دون رحمة أو شفقة، مما دفعهم إلى القيام بثروات عديدة، كما حدث في جاوة عام 1749 وقامت هولندا باستخدام العنف والشدة لقمعها والقضاء عليها.

سياسة الاحتكار والتسلط:

كان هدف الهولنديين هو الاستثمار والاستغلال الاقتصادي بالدرجة الأولى، ولذلك أبقوا على العائلات والأسر الحاكمة بشرط أن يقدم حكامها لشركة الهند الشرقية الهولندية كميات من منتجاتهم وسلعهم التجارية، وفرضوا عليهم أن يمدوهم على الدوام بحاصلات بلادهم بالأسعار التي تحددها لهم الشركة، ولم يفكروا أبدا في العناية بمصالح السكان الوطنيين ما دام المأمن النظام مستتبا، وتدفق المنتجات مضمون للرأسماليين الهولنديين وقلما فكر الهولندي في الهجرة أن الإقامة بهذه الجزر الشرقية أكثر من المدة التي يحددها له التعاقد، وعندما يرحل يترك وراءه أسرة من الأطفال المولودين بسبب زواجه المؤقت، زواج المتعة من الوطنيات.

ولما استشرى الفساد في كيان الشركة الهولندية، وتدهورت تجارتها، قامت هولندا بإلغائها، واستولى التاج الهولندي على ممتلكاتها ومخصصاتها عام 1798، وأصبحت جزر الهند الشرقية تابعة مباشرة للحكومة الهولندية التي لجأت بدورها إلى احتكار ثرواتها الطبيعية والاقتصادية وأخذت تسخر الأهالي في زراعة أراضيها التي كانت تمثل خمس الأراضي المزروعة في أندونيسيا، وفرضت عليهم أن يضعوا تحت تصرف حكومة الهند الشرقية الهولندية جزءا من أراضيهم، وأياما معلومة في الأسبوع يقومون فيها تحت إشراف موظفي الحكومة بزراعة غلال التصدير، فتدفقت من جراء ذلك ملايين الجنيهات إلى خزينة هولندا بشكل واسع.

وفي مقابل ذلك نكب الوطنيون الأندونسيون، والمزارعون في جاوة وسومطرة وغيرهما، واشتدت وطأة الاستعمار عليهم أكثر من ثلاثة قرون، ولكنهم لم يستسلموا بل كافحوا، وناضلوا، وقاوموا، وظلوا يجاهدون من أجل استقلالهم الوطني، وفي الحرب العالمية الثانية، غزت اليابان بلادهم، وعندما انسحبت منها عاد الهولنديون إليها، ولكن الشعب الأندونيسي كان قد وصل إلى درجة من الوعي عالية فواصل المقاومة حتى حصل على استقلال بلاده وحريتها عام 1949م.

الخلاصـــة:

اقترن قيام إمبراطورية المغول في الصين، بزحف الميسرين المسيحيين إليها من أجل تنصير المغول لاتخاذهم حلفاء ضد الإسلام وتوالت الإرساليات المسيحية من طرف البابا وفرنسا، ووصل إلى بلاد الخان مغامرون كثيرون أمثال الأخوين بولو، وحفيدهما ماركوبولو الذي ألف كتابا عن الصين.

وبعد حركة الكشوف الجغرافية سيطر البرتغاليون بعض الوقت على تجارة الشرق وتوابله، ثم ظهر الهولنديون، وطردوهم من مراكزهم بالهند، ولكن الإنجليز لم يتيحوا لهم الفرصة ليتمركزوا هناك، فحولوا نشاطهم إلى جزر الهند الشرقية الأندونيسية التي كان يتنافس عليها الأمريكان والروس، واليابان، والألمان، والإنجليز.

وقد افتتح الهولنديون نشاطهم في هذه الجزر الشرقية، بإنشاء شركة الهند

الشرقية الهولندية التي احتكرت التجارة، والتوسع، والاستعمار واحتفظت بأسطول وجيش كبيرين، وسخرت السكان لخدمة أغراضها التجارية والاقتصادية وقامت بإنشاء محطات ومراكز استعمارية في معظم الجزر الأندونسية واتصلت بالصين واليابان تجاريا كذلك.

وقد فرض الهولنديون على السكان أن يقدموا للشركة مقادير هامة من منتجاتهم ومحصولاتهم، وسخروهم للعمل أياما معلومة كل أسبوع لصالح الاقتصاد والتجارة الهولندية، ولم يختلف سلوك الحكومة الهولندية عن الشركة عندما آلت إليها ملكية هذه المستعمرات.

ولذلك قاوم الشعب الأندونيسي حتى حصل على استقلاله عام 1949م.



الاستعمار الهولندى بالشرق الاقصى

الاستعمار البرتغالي

في الوقت الذي بدأت فيه الإمبراطورية الهندية تتدهور أوضاعها أوائل القرن السادس عشرن شرعت البرتغال في حركة الكشف الجغرافي لاكتشاف طريق جديد إليها حول إفريقيا، وفتح فاسكو دي جاما برحلته الناتجة إلى الهند (1497-1499) الطريق لسيطرة البرتغاليين على المحيط الهندي، واحتكارهم لتجارة الشرق، وتحطيم قوة المسلمين البحرية هناك، وبقي البرتغاليون طوال قرن من الزمن يرسلون سفنهم كل عام إلى مياه الهند لجلب توابلها وبهاراتها بأرخص الأسعار، ولتعزيز أسطولهم ومراكزهم الاستعمارية هناك.

سياسة الشدة:

وقد لجأ البرتغاليون منذ البداية إلى قوة السلاح، ومختلف وسائل العنف، والشدة، لفرض سيطرتهم على بلدان الشرق فأرسلوا تجارا أشد مدججين بالسلاح الحديث، مدربين على السلب، والنهب، والخطف، والخداع، وساعدهم الحظ بتفكك إمبراطورية الهند، وانشغال العرب والمسلمين بمحاربة الأتراك العثمانيين بغرب آسيا، فقاموا بتحطيم أساطيل العرب، والبنادقة العاملة في المحيط الهندي واستولوا على جوا وديو ودماو في شواطئ الهند الغربية.

السيطرة على المنافذ البحرية في بلاد العرب:

وحاولوا السيطرة على المنافذ البحرية الاستراتيجية في المنطقة لفرض سيطرتهم والقضاء على النفوذ العربي الإسلامي، فاستولوا على جزيرة هرمز في مدخل الخليج العربي الفارسي، وجزيرة سوقطرة قرب مدخل البحر الأحمر عام 1506، ولكنهم عجزوا عن احتلال عدن في البحر الأحمر.

التوسع في جزر الهند الشرقية:

واتخذ البرتغاليون من مراكزهم بالهند، قواعد لنشاطهم التوسعي

الاستعماري في الشرق الأقصى، فجعلوا، جوا في غرب الهند عاصمة لهم، وركزوا فيها حامية عسكرية كبيرة، وبنوا بها دار الصناعة السفن والأسلحة، ثم أبحروا شرقا إلى ملقا بالملايو عام 1511م، وسيطروا عليها، ومسكوا مفتاح جزر الهند الشرقية التي تشتهر بأحسن أنواع التوابل وجوز الطيب، والقرنفل، وبعدها استولوا على جاوة، وأنشأوا بها مراكز تجارية لهم، في سومطرة، وبورنيو، وجزيرة تيمور عام 1580، وبذلك انفتح الطريق أمامهم إلى الصين.

الإتجار مع الصين واليابان:

وصلت طلائع سفن البرتغاليين إلى كانتون بالصين عام 1515م فحصلوا من حكومتها على امتيازات واسعة مثل التي كانت للمسلمين هناك، وفي العام الموالي، اتصلوا بمملكة سيام كذلك لنفس الغرض.

غير أن البرتغاليين سرعان ما أظهروا نواياهم العدوانية التي لم تعتدها الصين من المسلمين، فقاموا بتحصين المواقع التي تمركزوا بها، وأخذوا يشنون الغارات على القرى الصينية للسلب، والنهب، والقتل والتدمير، مثلما كانوا يفعلون بالهند وجزر الهند الشرقية، والخليج العربي وحصلت بينهم وبين الصينيين حروب ومشاكل، واحتلوا جزيرة ماكاو عام 1557م قرب كانتون، ووضعوا بها حامية عسكرية ما تزال بها حتى اليوم.

أما اليابان فقد فتحت أبوابها لهم أول الأمر مثل الصين، وعندما، اكتشفت نواياهم التوسعية التخريبية طردتهم من بلادها أوائل القرن السادس عشر.

السيطرة على سيلان:

كذلك نزل البرتغاليون بسيلان، واحتلوا بها مراكز ساحلية، وسيطروا على إنتاجها الزراعي، خاصة القرفة التي يزدهر إنتاجها هناك، وساعدهم ذلك على فرض سيطرتهم على تجارة المناطق الساحلية، بخليج السنغال.

مصير الإمبراطورية البرتغالية بالشرق:

ظلت السفن التجارية البرتغالية تذهب وتجيء بين لشبونه والشرق محملة بالتوابل، والبهارات، وكل بضائع آسيا، وأصبح حاكم البرتغال بالشرق يحمل لقب نائب الملك، ويتخذه مركزه في جوا بساحل الهند الغربي.

ولكن هذه الإمبراطورية البرتغالية بالشرق سرعان ما سقطت بيد إسبانيا وتكالب عليها الهولنديون والإنجليز، حتى توزعوها واقتسموها. وكان من جملة أسباب تحطيمها فساد الإدارة البرتغالية وانتشار الرشوة والمحسوبية بين الحكام، وتعصب البرتغاليين، وقسوتهم ضد الأهالي وارتفاع نسبة الوفيات بينهم، وظهور أطماع الهولنديين والإنجليز والفرنسيين في الأخير.

ولم يبق للبرتغال حاليا في آسيا من مستعمراتها سوى جزيرة ماكا وبالصين، وجزر تيمور بالأرخبيل الأندونيسي التي انتزعتها منها أندونيسيا بالقوة خلال عقد السبعينات من هذا القرن واتفقت مع الصين على تسليمها لها ماكاو عام 1998م.

الاستعمار الإسباني

بعد عشر سنوات من سيطرة البرتغال على ملقا قام مغامر برتغالي ساخط على حكومته يدعى فرديناند ماجلان، برحلة على نفقة إسبانيا حول أمريكا الجنوبية، وعبر المحيط الهادي إلى الجزر التي أصبحت تدعى من ذلك التاريخ، الفيليبين نسبة إلى فيليب ملك إسبانيا بفي شرق آسيا ولم يكن الإسبان آنذاك يهتمون بهذه البلاد ولا بالصين نفسها، ولكنهم كانوا يسعون للحصول على نصيبهم من جزر البهار التي ادعى ماجلان أنها تابعة لنصف الكرة الغربي طبقا لخط تقسيم الحدود الذي وضعه البابا بين إسبانيا والبرتغال.

ولما كانت جزر الفيليبين، وجزر البهار (أندونيسيا) تقع في دائرة نفوذ البرتغال، وفقد عمل البرتغاليون على إحباط المحاولات الإسبانية التي تريد غزوها والسيطرة عيها، ولكن الإسبان استولوا على ميناء مانيلا عام 1571، واتخذوه مركزا تجاريا كبيرا، وشجعوا تدفق السلع الإسبانية إليه، ونشروا العملة الفضية المكسيكية،

ولم يأت عام 1576 حتى كان الإسبان قد سيطروا على كل جزر الفيليبين، وبعد أن ورث فيليب الثاني ملك إسبانيا عرش البرتغال عام 1580، أصبح لإسبانيا الحق في الإتجار مع مواني الشرق، وجعلت ميناء مانيلا عاصمة لإمبراطوريتها هناك، وتعرضت لمنافسة الهولنديين، والإنجليز، فاستولى الهولنديون لمدة قليلة على بعض القواعد، واستولى الإنجليز في حرب السبعين على مانيلا ثم أعادوه إليها بعد انتهاء الحرب.

طابع الاستعمار الإسباني:

وقد قام الإسبان بمذابح، ومجازر واسعة، ضد السكان الصينيين الذين كانوا يقدمون إلى مانيلا لغرض التجارة، مما أدى بالصين إلى فرض قيود ثقيلة مشددة على التجار الإسبان في بلادها، وبقيت جزر الفيليبين تحت سيطرة إسبانيا طيلة ثلاثة قرون وثمانية وعشرين عاما ولعبت الكنيسة الإسبانية دورا كبيرا في صبغ الأهالي بالصبغة الإسبانية فأوفدت إليها أتباع مذهب أوغسطس، والفرانسيسكان، والدومنيكان، وخصصت مساحات واسعة من الأراضي للأشراف والإقطاعيين الذين كان لهم الحق في الإبقاء على عبيد الأراضي وقتلهم، وكان لإسبانيا تأثير كبير على الحياة الاجتماعية والثقافية في جزر الفيليبين أكثر مما كان للأمريكان بعد ذلك وكان الحاكم العام الإسباني هو رئيس الحكومة، والمحكمة العليا، وكانت المناصب الإدارية تباع وتشترى، وكان الرهبان والقساوسة هم الحكام الحقيقيون، يحوزون تحت تصرفهم أخصب الأراضي، ويتحكمون في السكان كما يشاؤون بعيدا عن تسامح الدين، وقانون الحضارة.

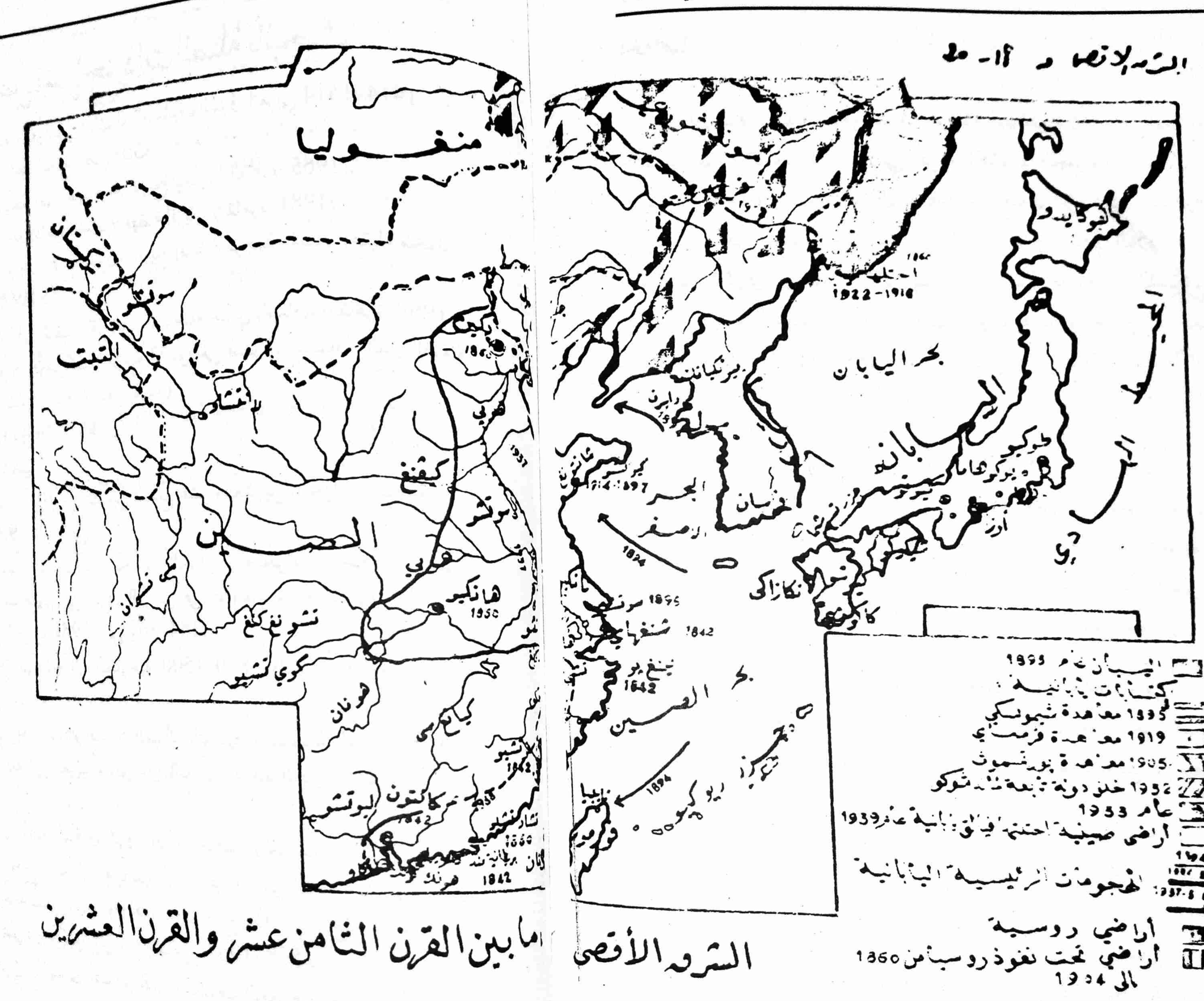
وفي خلال القرن التاسع عشر انهارت شخصية الإسبان، وضعفت قدرتهم كثيرا، وفقدوا سيطرتهم على معظم مستعمراتهم في أمريكا اللاتينية، وارتكبوا أشنع الجرائم، والمجازر ضد السكان الذين كانوا يقودون الثورات من أجل التحرر والاستقلال، وحتى الرهبان، والقساوسة لم يتورعوا عن ارتكاب مثل هذه الجرائم في سبيل المحافظة على غطرستهم ونفوذهم الديني والاجتماعي.

الخلاصة:

في الوقت الذي تدهورت فيه أوضاع أمبراطوية المغول بالهند أوائل القرن السادس عشر، شرعت البرتغال في حركة الكشوف الجغرافية حول إفريقيا، ونجح فاسكودي جاما في الدوران حول إفريقيا، والوصول إلى بلاد الهند، وفتح الطريق للبرتغاليين لكي يسيطروا على سواحل الهند، ومنافذ، بحار البلاد العربية، وبعض جزر الهند الشرقية، ويحتكروا لأنفسهم تجارة الشرق فاستعملوا القسوة والشدة ضد السكان، ومارسوا سياسة، السلب، والنهب، والخطف، والخداع مما جعل الصينيين واليابانيين يطردونهم من بلادهم وهذه من الأمور التي عجلت بسقوط إمبراطوريتهم في يد الإسبان وغيرهم.

وقد استقر الإسبان أول الأمر بمانيلا في جزر الفيليبين التي اكتشفها ماجلان البرتغالي، ثم توسعوا حتى سيطروا على الأرخبيل كله وبعض جزر أندونيسيا، وبقوا هناك أكثر من ثلاثة قرون إلى أن طردهم الأمريكان منها عام 1898م واتسم استعمارهم بالتجبر، والقساوة، وعجرفة رجال الدين الذين كانوا يبالغون في التنكيل بالسكان وتعذيبهم في سبيل إرضاء شهواتهم.

ودخلت ألمانيا إلى ميدان الاستعمار بآسيا، وفشلت في إيجاد مراكز لها بالبلاد العربية العثمانية، ولكنها نجحت في احتلال بعض جزر المحيط الهادي، والحصول على منطقة كياوتشاو الصينية، وتحويل إقليم كانتونج إلى منطقة نفوذ لها.



الشرق الأقصى ما بين القرن الثامن عشر والقرن العشرين

بعض المراجع ذات الصلة بالبحث

-أنيس (د.محمد أنيس): الدولة العثمانية والشرق العربي 1514-1914 (القاهرة – بدون تاريخ) ص 301.

-الألورى (آدم عبد الله): مزجز تاريخ نيجيريا (القاهرة-1965).

-إسحاق (محمد عبد العزيز): نهضة إفريقيا (القاهرة-1981).

-أوليفر (رونالد): قيج (جون): تاريخ إفريقيا، ترجمة رمضان (عقيلة محمد): (القاهرة-1964).

-أبو هشام (أ.): كيف تفكر إفريقيا، ترجمة خيري (حماد)، (القاهرة-1968).

-بدر (نبيل): جومو كينياتا الرمح الأسود في صدر الاستعمار، (الدار القومية للطباعة والنشر- القاهرة بدون تاريخ).

-بوشرب: دوكالة. الرباط.

-بوعزيز (يحيى).

أ - ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين (الجزائر-قسنطينة- دار البعث 1980) 550ص.

ب - اهتمامات الفرنسين بجنوب الجزائر والصحراء من خلال ما كتبوه، ومدى استفادتهم من طرق القوافل في غزوها، مجلة البحوث التاريخية (طرابلس الغرب 1981) ص 367-384.

ج - علاقات الجزائر الخارجية 1500-1830 (الجزائر د.م.ج. 1985) 206ص.

-تشايجي (د، عبد الرحمن): المسألة التونسية والسياسية العثمانية 1881-1913. نقله إلى العربية وعلق عليه التميمي (د.عبد الجليل.) (تونس 1973) 329ص.

-الترمانيني (عبد السلام): الرق ماضيه وحاضره (الكويت- 1979).

-جرانت (أ.ج)، تمبرلي (هايولد): أوروبا في القرنين التاسع عشر والعشرين، جعل ترجمة فهمي (بهاء) (القاهرة بدون تاريخ) 563ص. ج2، ترجمة أبودرة (محمد علي) واسكندر (لويس) (القاهرة-1967) 568ص.

-الجوهري (د.يسرى عبد الرزاق): الكشوف الجغرافية، ط2 (القاهرة- دار

المعارف 1967) 399ص.

-حسين (د.فاضل): مؤتمر لوزان وأثره على البلاد العربية (القاهرة-1958) 80ص.

-حزب الاستقلال: المغرب (مراكش) قبل الحماية، عهد الحماية، افلاس الحماية (القاهرة - 1950) 206ص.

-حراز (رجب): بريطانيا وشرق إفريقيا من الاستعمار إلى الاستقلال. (القاهرة-1971).

-حسن (د.حسن إبراهيم): انتشار الإسلام في القارة الإفريقية، ط2 (القاهرة-1963).

-حورانين وفاضلو (جورج): العرب والملاحة في المحيط الهندي، (القاهرة-1958).

-الخشاب (وفيق) والمشهداني (إبراهيم): إفريقيا جنوب الصحراء.(بغداد-1978م).

-خلف الله (عبد الغني عبد الله): مستقبل إفريقيا السياسي (القاهرة 1961).

-دافيدسون (بازل):

أ - صحوة إفريقيا، ترجمة حمزة (عبد القادر) (القاهرة-1956م).

ب - إفريقيا تحت أضواء جديدة. ترجمة أحمد (جمال محمدة) (بيروت بدون تاريخ).

-رمضان محمود (د.صالح): حركات التحرير في آسيا وإفريقيا (عدن-1976م).

-رياض (زاهر):

أ - الاستعمار الأوروبي لإفريقيا في العصر الحديث (القاهرة-1960م).

ب - استعمار إفريقيا (القاهرة-1965م).

ج - الممالك الإسلامية في غرب إفريقيا وأثرها في تجارة الذهب عبد الصحراء الكبرى القاهرة).

-زكرياء قاسم (د.جمال): الاستعمار البرتغالي وأثره على العلاقات العربية الإفريقية (القاهرة-1977).

-زيادة (د.نيقولا): تونس في عهد الحماية 1881-1934 (القاهرة-1963) 644ص.

- سالم (حمدي السيد): الصومال قديما وحديثا، ج1 (مقديشو 1965).
- سمبسون (أنطوني): حول إفريقيا: ترجمة الخولي (محمد) ومراجعة عودة (عبد القادر) (القاهرة-1962م).
- سين أوكلاجان: تجارة الرقيق، (بيروت-1962).
- الشناوى (د.عبد العزيز محمد): المراحل الأولى للوجود البرتغالي في شرق الجزيرة العربية، ج2 (الدوحة 1976).
- صفوت (محمد مصطفى): مؤتمر برلين وأثره على البلاد العربية (القاهرة-1957) 66+25ص.
- صبري (صلاح): إفريقيا وراء الصحراء (القاهرة-1960) 397ص.
- طرخان (د.إبراهيم)
أ - إمبراطورية غانة الإسلامية (القاهرة-1970م).
ب - دولة مالي الإسلامية(القاهرة 1953).
ج - البرتغاليون في شرق إفريقيا (القاهرة).
- العقاد (صلاح) وقاسم (جمال زكرياء): زنجبار. (القاهرة-1959م).
- العقاد (صلاح): الاستعمار في الخليج العربي، (القاهرة-1956م)
- عنبر (محمد عبد الرحيم): التمييز العنصري في إفريقيا (القاهرة-1966م).
- عبد العليم (أنور): أحمد بن ماجد: (القاهرة بدون تاريخ).
- العربي (إسماعيل): الصحراء الكبرى وشواطئها (الجزائر-1983).
- فارس (محمد جبر): المسألة المغربية 1900-1912) القاهرة-1961) 644ص.
- فيليب فونداس: الاستعمار الفرنسي في إفريقيا السوداء (دمشق-دار الفكر الإسلامي للتأليف والترجمة والسير بدون تاريخ) 167ص.
- فليجة (د. أحمد نجم الدين)، والجوهري (د.يسري عبد الرزاق): إفريقيا، ج1 (الإسكندرية مطابع رمسيس 1967).
- الفتشال: مناهل الصفا. تحقيق د.كريم (الرباط).
- كوران (أرجمنت): السياسة العثمانية تجاه الاحتلال الفرنسي للجزائر. ترجمة التميمي (د.عبد الجليل) (تونس-1970) ص120.
- محمد إسماعيل محمد: نيجيريا والداهوسي والكاميرون (القاهرة-1961)، 253ص.

- محمد عبد الفتاح إبراهيم: إفريقيا من السينغال إلى نهر جوبا (القاهرة بدون تاريخ) 303ص.
- متولي (محمد) وغنيمي الشيخ (رأفت): إفريقيا في العلاقات الدولية (القاهرة-1975).
- محمد (اسماعيل محمد): سيراليون وليبيريا، (القاهرة-1979م).
- المعمري (أحمد محمود): عمان وشرق إفريقيا (القاهرة-1979م).
- المغيري (سعيد بن علي): جهينة الأخبار في تاريخ زنجبار، تحقيق عامر (عبد المنعم) (القاهرة-1979م).
- المؤرخ العربي عدد 31 (1987م).
- الناصري (أحمد بن خالد-السلاوي): الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق ولديه: جعفر ومحمد (الدار البيضاء-1954 و1955م). 9 أجزاء.
- الهنائي (مبارك بن علي): العمانيون وقلعة ممباسا (القاهرة 1980م).
- وودیس (جاك): جذور الثورة الإفريقية، ترجمة بلبغ (أحمد فؤاد) ومراجعة عودة (د.عبد المالك) (القاهرة-1971م).
- وأيدنر (دونالد): تاريخ إفريقيا: جنوب الصحراء. ترجمة فخري (أحمد علي) والجميل (د.شوقي عطاالله) (القاهرة-1976).
- ونوفان (بيير): تاريخ العلاقات الدولية، تعريب يحي (د.جلال) (القاهرة دار المعارف-1971) ط2-942ص.

1- AYME (VICTOR): L'Afrique française et le Trans Saharien (Paris-1981)
2- BARTH(HENRI): Voyages et Découvertes dans l'Afrique septentrionale et centrale pendant les années 1849-1855. Traduit de l'Allemand par PAUL ITHEIR (Paris-1860) 4 volumes. 370-318-337-304 p.
3- BERNARDE D'ATTANOUX (J): Voyage d'exploration chez les TOUAREG AZDJER (Lille-1859) 17p.
4- BLANC 5EDOUAR): Les routes de l'Afrique septentrionale au Soudan BUL. SOC. G.P.(Paris-1890) pp. 169-216.
5- DUVERIER (HENRI): Exploration du SAHARA. Les TOUAREG du Nord (Paris-1864) 540 p.
6- FOUREAU (RERNAND): Mission SAHARIENNE (FOUREAU-LAMY) d'Alger au Congo par le Tchad (Paris-1902) 11-829p.

7- JEAN-SURET CANALE: L'Afrique Noir Occidentale et Centrale. T.I. Géographique, Civilisation, Histoire (Paris-1968) 395p.

T.II. ERE Coloniale 1900-1945 (Paris-1975) 636p.

T.III. de la Colonisation aux indépendances 1945-1960 (Paris-1972) 430 p.

8- JOSEPH KI - SEBRO: Histoire de l'Afrique Noir d'Hier à Demain (Paris- 1972) 701p.

9- JULIEN (CH.A): Histoire de l'Algérie contemporaine, conquête et colonisation 1827-1871 (Paris –P.U.F. 1964) 613p.

10- MAQUET (E), KAKE (L.B.), SURET (CANALE) (J): Histoire de l'Afrique Centrale des origines au milieu du 20ème siècle (Paris-1939) 127 p.

11- MENIER (LE GENERAL.O): La pacification du SAHARA et la pénétration Saharienne 1852-1930 (Alger-1930) 62p.

12- MONORE (M): Le Trans SAHARIEN et la pénétration Française en Afrique (Paris-1901) 143 p.

13- MARIANNE CORNEVINE: Histoire de l'Afrique contemporaine de la 2ème Guerre Mondiale à nos jours (Paris-Payot- 1978) 447 p.

14- PERIE (A): Les TOUAREG et les missions toutés et hourst Bul. SOC. G.A. (Alger- 1896-1897) pp. 143-146.

15- ROBERT ET M. CORNOVINE: Histoire de l'Afrique des Origines à la 2ème Guerre Mondiale (Paris-Payot-1974) 397 p.

16- ROBERT CORNOVINE: Histoire di l'Afrique.

T.I. L'Afrique précoloniale 1500-1900 (Paris – 1976) 668 p.

T.II. Colonisation, décolonisation, indépendance (Paris- 1975) 691p.

فهرس المحتويات